جانيت دايلي

أنّى ليَبْقى

www.liilas.com

HARLEQUIN – "ABIR" – No 134

أنّى ليبقى

مرت سنوات طويلة قبل ان تلتقي تانيا زوجها جايك مرة ثانية. كان يبدو انه يتهرب من شيء ما، من حياة لا حب فيها، أو من نفسه ربما. وبقي في بلد بعيد لا تعرف عنه زوجته الا النزر اليسير. تزوجا بسبب أمر بدا ضرورياً وهاماً للغاية في وقتها، وكان زواجهما اسماً فقط، مجرد حبر على ورق. ولكن ابنها يحتاج الآن لأب يقف بجانبه، يرشده، ويأخذ بيده نحو المستقبل.

. . . وجدت تانيا نفسها مرغمة على الرضوخ ومطالبته بالعودة الى البيت. الا انها لم تكن مستعدة للمعاملة العدائية القاسية التي لقيتها منه، ولا لوجود تلك السمراء الجذابة شيئاً رابضاً في الجوار.

أصبح أشبه بالغريب. كما ان السر الذي تحمله في قلبها لم يعد يحتمل الصمت.

هل ستحاول، من أجل الصبي، انقاذ زواجهما؟ وهل عاد زوجها هذه المرة. . . ليبقى؟

لبنان	[illegible]	الكويت	[illegible]	اليمن	[illegible]	السودان	[illegible]
سورية	[illegible]	الامارات	[illegible]	تونس	[illegible]	U.K.	£ 1
الأردن	[illegible]	البحرين	[illegible]	ليبيا	[illegible]	France	F 13
العراق	[illegible]	قطر	[illegible]	المغرب	[illegible]	[illegible]	[illegible]
السعودية	[illegible]	عمان	[illegible]	مصر	[illegible]	[illegible]	[illegible]

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
SHOW ME

© JANET DAILEY 1976
© 198[illegible] Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف: جانيت دايلي
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة لهارلكوين (قبرص) المحدودة

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ ـ الزوج الغائب

كانت الطريق [illegible] ممتدة [illegible] بين التلال [illegible] المشجرة. وكانت المساحات القليلة بين الاشجار التي تفصل الجانب الأيمن من الطريق تتيح لصاحبة السيارة ورفيقها مشاهدة المناظر الرائعة لجبال اوزارك في ولاية ميسوري.

ـ هل يمكننا التوقف قليلا في مركز المراقبة الطبيعي؟

نظرت اليه تاليا لاسيتر باسمة، بعد ان كانت غارقة في أحلامها تركز اهتمامها على الطريق الممتدة امامها والمناظر الطبيعية الخلابة. لا يمكن لأحد ان يكون لديه ابن جميل وذكي مثل جوش. انه صبي في السابعة من عمره، بهي الطلعة، ذو عينين زرقاوين وشعر كستنائي ناعم يغطي جبينه، سعيد، نشيط، ويحب الاستفسار عن كل شيء.

وقالت ثانيا لنفسها بسرور بالغ ان ابنها يتحلى بجميع الصفات التي تتمناها كافة الامهات لابنائهن، وما كان يلفت نظرها دائماً ان عينيه اللتين تشبهها بزرقة سماء الصيف الصافية الدافئة لا تشبهان ابداً عيني والده جايلك الفولاذيتين الباردتين.

ـ هل يمكننا ذلك، يا امي؟

ـ بالطبع، يا حبيبي، ولكن لفترة قصيرة. فجدتك تنتظرنا على العشاء ولا يجوز ان نتأخر عليها كثيراً.

فرح جون بموافقة امه ولم يتمكن من اخفاء سعادته وحماسه الشديدين. ولكنها لاحظت ان امراً يقلقه ويزعجه، وقالت لنفسها انه سرعان ما سيخبرها بكافة التفاصيل. اقفلت ثانيا ابواب السيارة، فيما كان ابنها ينتظرها بفارغ الصبر على بعد بضع خطوات. سرحت شعرها سريعاً باصابع يديها ثم انضمت الى الصبي المتحرق شوقاً للوصول الى ذلك المكان الجميل المسمى منامي.

سار الاثنان معاً بخطى وئيدة نحو تلك الصخرة الرملية الضخمة التي تشرف على منطقة شاسعة. كانا شخصين ملفتين للنظر. الام طويلة القامة، جميلة القوام، وجذابة تشع انوثة. والصبي وسيم مشع بالنشاط والعافية، ويمثل الرجولة الحقيقية على نطاق ضيق. وفيما جلس جون على تلك الصخرة الضخمة يراقب الوادي والسيارات القليلة التي تمر بسرعة، جلست والدته بضعة امتار واسندت ظهرها الى جذع شجرة باسقة.

تأملته طويلاً وهو يقف بزهو وعنفوان، وكأنه خطيب يتهيأ ليلقي كلمة حماسية امام حشد غفير او قائد عسكري بارز يراقب معركة رابحة ويوجهها. انه يشبهها في امور معينة. ففي الظاهر، يبدو جون منفتح الشخصية ومرحاً يحب التمتع بالحياة... واللهو. ولكنه مثلها يحب احياناً الابتعاد عن الآخرين والاختلاء بنفسه ليفكر ويتأمل. وكانت تشعر في اوقات معينة انه جدي اكثر مما هو متوقع من طفل في السابعة من عمره، وانه يقلق كثيراً ويقضي فترات اطول مما يلزم مع

الراشدين. ولكنه لا يختلط مع رفاقه في المدرسة او يجد صعوبة في كسب الاصدقاء وفي التعامل معهم. اذن، فلا داع للقلق او للخوف.

شاهدت عصفورين يتناجيان بمرح وسرور. شعرت بالم حاد في جميع انحاء جسمها، ورغبت في وضع ذراعيها حول نفسها لتشد بقوة تزيل الالم. كل عصفورة مع شريكها... الا هي! انها عصفورة في السادسة والعشرين من عمرها بحاجة الى شريك تحبه وتألفه. هذه هي ابسط حقائق الحياة... وأقدمها!

تذكرت وصولها الى هذه التلال قبل سبع سنوات وهي تحمل طفلاً رضيعاً على ذراعيها. ازالت والدة زوجها جوليا لاسيتر، بحنوها وخبرتها، صورة الطالبة المراهقة وحولتها الى شابة واعية ذات شخصية جذابة وقوية. وقالت ثانيا لنفسها بمرارة انه لم يبق من ذلك شيء... سوى احتقارها لجايلك لاسيتر الرجل الذي تحمل اسمه. لم يفرز ذلك الزواج سوى نتيجة ايجابية واحدة... جون. انه لها ولا يمكن لاحد ان يأخذه منها... طالما انها لا تزال متزوجة من جايلك.

ـ امي؟

جثت على الارض وجلس جون قربها. رفعت ركبتيها وطوقتهما بذراعيها وسألته بهدوء:

ـ نعم، يا حبيبي؟

ـ هل حقاً لدي والد؟

لم يعكس وجهها اثر الصدمة الناتجة عن مثل هذا السؤال الا لحظة واحدة. تسارعت ضربات قلبها، لكنها حافظت على رباطة جأشها وقالت:

ـ طبعاً لديك والد.

حدق بها وكأنه يريد اختراق عينيها للوصول الى عقلها وافكارها. وسألها:

ـ امي... هل هو حي يرزق؟

حاولت تانيا ان تضحك، ولكنها لم تتمكن الا من الابتسام عندما أجابته قائلة:

- نعم، انه حي. انت بنفسك كنت تحضر رسائله كلها الى صاحبي البريد. ماذا حملك على التفكير بأنه ليس حياً؟

- قال لي داني جيلبرت ان أبي ميت او موجود في السجن، والا كان عاد الى البيت. هل هو في السجن، يا أمي؟

طوقت كتفيه بذراعها وضمته اليها للتخفيف من توتر اعصابه، وقالت:

- لا، يا حبيبي، انه ليس في السجن. انه الآن في مكان ما من افريقيا. انه يعمل مع جدك، الا تتذكر ذلك؟ ثمة سد كبير او جسر او ما شابه ذلك يتم تشييده هناك، وشركة جدك تتولى الاشراف على المشروع، ويعمل والدك جاهداً كي يتأكد بنفسه من ان العمل يسير بدقة وانتظام.

ابعد رأسه عن كتف امه وتأمل بانزعاج وجهها الحزين، ثم سألها بتأثر:

- ولكن لماذا لا يأتي ابداً الى البيت؟ ولماذا لا نذهب نحن لزيارته؟ الا يريد رؤيتنا؟

حاولت طمأنته ولكنها فشلت في اعطاء الجواب الشافي. قالت له بلهجة مبهمة وغير مقنعة:

- سيعود يوماً، يا حبيبي. لديه أعمال واشغال كثيرة.

- جميع المسؤولين والموظفين لديهم اجازات سنوية. لماذا لا يأخذ اجازة كي يحضر لزيارتنا؟

- لقد اتى مرة.

لم تتمكن من ابلاغه بأن جايلز اتى بصورة مفاجئة لتمضية شهر بكامله، ولكنه عاد بعد اسبوع واحد. لم يعجبه ردها، فقال:

- كنت صغيراً جداً. أخبرتني جدتي بأن عمري آنذاك كان ثلاث سنوات. انا لا أتذكره اطلاقاً.

سألته بتردد عما اذا كان بحث هذا الأمر مع جدته، وكانت خائفة من ان يكون رده بالايجاب. فمن شأن ذلك ان يضيف نقطة سوداء اخرى الى سجلها لدى ام زوجها. هز جون كتفيه وقال:

- لا، لم أبحث ذلك معها. ولكني سألتها عن عمري عندما حصلت على ذلك الفيل العاجي الصغير. أنت قلت لي ان أبي أحضره لي كهدية.

تنهدت بارتياح وأكدت له تلك المعلومات بهدوء. عاد الصبي الى السؤال:

- هل يمكننا زيارته هذا الصيف، بعد انتهاء العام الدراسي؟

ارتبكت... تلعثمت... تألمت... لأنها تريد ايجاد رد مناسب لرفض طلبه، دون اضافة شيء يزيد من اقتناعه الحالي بأن والده لا يريد رؤيته او مقابلته. هزت رأسها وقالت له بجدية مصطنعة:

- لا يمكننا ذلك، لأن الوضع السياسي هناك لا يسمح لنا بالقيام بمثل هذه الزيارات.

نظر اليها الصبي بيأس وبخيبة أمل مريرة، وقال لها بلهجة الراشدين:

- كنت أعلم انك ستقولين لي شيئاً مماثلاً.

بلعت تانيا ريقها بعصبية وقدمت له اقتراحاً لا يعجبها. قالت:

- يمكننا الليلة ان نكتب له رسالة نستفسر منه بواسطتها عما اذا كان قادراً على زيارتنا لمدة اسبوعين او اكثر خلال الصيف المقبل.

أزاح جون شعره البني الفاتح عن جبينه الصغير وتأمل امه بعينين تحملان القليل من الآمال والكثير من الخيبة والآلام. ثم سألها:

- وهل تعتقدين انه سيأتي؟

كانت تأمل في قرارة نفسها ألا يوجه اليها هذا السؤال. ولكن امنيتها الصامتة ان يرفض جايلز طلبها، زالت واضمحلت بمجرد نظرها الى وجه ابنها.

- اذا كان الأمر ممكناً بأي شكل من الاشكال، فأنا متأكدة من انه

سيأتي... وبخاصة اذا كتبت له وطلبت منه ذلك.

لم تحاول تانيا ابداً تشجيع المراسلة بين الابن ووالده، لأنها لم تكن راغبة في مشاطرة جون الصغير حبه للرجل الذي تحتقره. كانت تحفز ابنها على ارسال كلمة شكر الى أبيه في مناسبات معينة فقط، وذلك عندما يستلم منه بريدياً هدايا الأعياد. هب الصبي واقفاً وقال لها بسرور واضح:

- هيا بنا! فلنذهب الى البيت.

فيما كانت السيارة منطلقة على الطريق الساحلية، التفتت الأم الى ابنها وقالت بهدوء:

- اريدك ان تعلم يا بني ان مجرد الكتابة الى أبيك لا يعني بالضرورة انه سيتمكن من العودة الى الولايات المتحدة.

ابتسم الصبي بثقة وقال لها:

- أعرف. ولكنه سيأتي. انا متأكد من انه سيأتي!

ذكرها التصميم القوي في نبرته بالروابط المتينة بين الابن وأبيه. ومع انها تريد كثيراً تجاهل وجود زوجها، الا انها لا تقدر على ذلك من أجل جون. وسمعت الصبي يقول بصدد الموضوع ذاته:

- كنت أفكر بأنه ربما يتصور انني لا اهتم به. اذا علم بمدى تشوقي لرؤيته، فمن المؤكد انه سيأتي.

- وان لم يتمكن من المجيء هذا الصيف، فربما سيفعل ذلك في الخريف او حتى في فترة عيد الميلاد. لا تعلق يا حبيبي آمالاً كبيرة على امكانية مجيئه خلال الصيف، فلربما عجز عن ذلك.

- اتمنى ان يأتي الآن كي يراه داني جيلبرت ويعرف ان لدي والداً وانه موجود حقاً في افريقيا.

ثم نظر اليها بحماس وسألها بلهفة:

- هل يمكننا كتابة الرسالة فور الانتهاء من العشاء؟

شعرت بالألم يعصر قلبها ولكنها وعدته بذلك قائلة:

- نعم، بعد العشاء مباشرة.

- وسوف ترسلها بالبريد الجوي كي يستلمها بأسرع وقت ممكن؟

- نعم، سوف نرسلها بالبريد الجوي.

ظهر الارتياح جلياً على وجه الصبي عندما شاهد سيارة فضية اللون متوقفة امام المنزل الكبير المبني على أحدث طراز. وقال:

- انه العم باتريك. لم نره هنا منذ زمن بعيد.

برقت عيناها لدى رؤيتها السيارة المألوفة، وقالت له مصححة:

- كان هنا منذ أقل من اسبوع.

لم يكن باتريك رايتز عم الصبي، مع ان جون يدعوه بهذا الاسم منذ ان اصبح قادراً على الكلام. ولاحظت تانيا ان والد زوجها جاي دي لاسيز أحال نفسه الى تقاعد جزئي ولم يعد يذهب الى مقر شركته إلا مرتين او ثلاث مرات في الاسبوع.

ومنذ ذلك الحين أصبح باتريك رايتز يتولى ادارة الشركة الهندسية بصورة فعلية مع انه لم يعين رسمياً رئيساً لها. وكانت تانيا تشعر بأن جاي دي لم يتقاعد كلية لأنه ينتظر عودة ابنه الوحيد وتسلمه الشركة وادارتها. وتذكرت تانيا ان جاي دي هو الذي بذل تلك المحاولة الفاشلة لاقناع جايك بالعودة الى وطنه. وقد حضر فعلاً قبل أربع سنوات لتمضية شهر كامل الا انه لم يبق سوى اسبوع واحد. وتألمت عندما تذكرت الجو المرعب العدائي الذي خيم عليهما اثناء تلك الأيام القليلة، وكيف انها لم تتمكن من تبادل أي حديث هادىء ومهذب معه... او حتى ان تشعر بالارتياح لوجودها معه في غرفة واحدة.

دخل الصبي وأمه المنزل الرائع الجمال دون إبطاء وكاد قلبها يتوقف عن الخفقان بسبب سماعها صوت باتريك القوي في قاعة الجلوس، هرع الصبي الى القاعة وهو يلقي التحية بصوت عالٍ على جديه وعلى صديقه الأسمر الوسيم. ابتسمت تانيا مرحبة بباتريك الذي حياها بمودة وحرارة. مدت يدها نحوه بصورة عفوية قائلة:

- اني مسرورة بلقائك مرة اخرى، يا باتريك. قال لي جون، لدى مشاهدته سيارتك في الخارج، انه لم يرك هنا منذ أجيال.

ظل قابضاً على يدها بقوة حينما قال لها بارتياح وزهو بالغين:

- انني احسست بخيالي عن البلدة وكنت تشرقين لعيوني.

أرادت تانيا الانطلاق من تلك الجملة لاجراء حديث هام معه، الا ان والدة زوجها تدخلت قائلة:

- كنا بدأنا نظن انكما اختفيتما. اين ذهبتما انت وجولي؟

كانت جوليا لاسيتر الشخص الوحيد الذي يطلق على الصبي اسم جولي عوضاً عن جون. وكانت تانيا تحس بأن حماتها تفعل ذلك لمجرد اغاظتها. نظرت الى السيدة الارستقراطية التي تمسك بيد حفيدها بقوة، والتي تحب معرفة تفاصيل كافة تحركاتها، وقالت لها بهدوء:

- ذهبنا في نزهة قصيرة استغرقت اكثر مما كنا نتوقع. هل أصبح العشاء جاهزاً؟

وقف جاي دي، ذو القامة الطويلة والمنكبين العريضين، الذي يشبهه ابنه الى حد بعيد، وقال لها:

- كنا على وشك التوجه الى قاعة الطعام.

- اسمحوا لنا ببضع دقائق لاستبدال ثيابنا قبل ان ننضم اليكم.

أفلتت يد جون بيدها ووجهت ابتسامة ناعمة نحو الثلاثة الآخرين، وبخاصة الى باتريك. ارتدت فستانها وسرحت شعرها خلال فترة قياسية، ثم توجهت فوراً الى المطبخ وهي تعلم ان جوليا تتوقع حضورها في اي لحظة. كانت تدرك ان بامكان العائلة استخدام خادمة او طاه او بستاني، ولكن منزل جوليا لاسيتر كان قصرها الخاص. فهي التي تقوم بكافة الأعمال او تراقب تنفيذها بدقة واهتمام. وقالت تانيا لنفسها ان السيدة لاسيتر تحب الكمال وتعمل جاهدة لتحقيقه. ليس هناك من عمل الا وتقوم به على أفضل وجه، مأكولاتها أشهى وأطيب مما يقدمه متذوق الطعام في أفخر

المطاعم وأفضلها. منزلها نظيف دائماً لا يعرف الأوساخ او حتى الغبار، ولو في تلك الأمكنة الشخصية او التي لا يراها احد. حديقتها جميلة غناء تحظى باهتمام بالغ من سيدة البيت، ولا تسمح حتى لزوجها او زوجة ابنها القيام الا ببعض الأعمال الثانوية فيها. اما هي نفسها فكانت عنوان الأناقة والاعتناء بالذات، لا تترك اي مجال على الاطلاق حتى لناقد محترف...

وكذلك فان ثمة دلائل متعددة على ان جوليا لم تكن زوجة وطاهية منزل مثالية فحسب. بل كانت ايضاً اماً تتصف بهدوء وحكمة مع ابنها. لم تسأله ابداً عن تلك الشابة التي أحضرها مرة الى البيت قائلاً انها زوجته. لم تعلق على تصرفاتها او تستفسر عن العلاقة القائمة بينهما. كما انها نفذت دون اعتراض او تردد رغبة ابنها في تأمين غرفتين منفصلتين له ولزوجته. لم تقل شيئاً مزعجاً لتانيا عندما ذهب ابنها بعد بضعة ايام من احضار زوجته الى البيت، او طوال السنوات العديدة التي تلت رحيله. ومع ذلك، كانت تانيا تشعر بأن جوليا لا تتحمل وجودها في البيت الا بسبب جون... الذي أصبح محور حبها واهتمامها ورعايتها. كانت تحس دائماً بشيء من المرارة في صوت جوليا كلما تحدثت اليها. لم تشعر ابداً بأن تلك السيدة التي تعيش وإياها تحت سقف واحد تكنّ لها اي محبة او صداقة.

اما والد جايك، جاي دي لاسيتر، فهو مختلف تماماً. قالت تانيا مرة بسخرية لاذعة ان بامكان جايك ان يسحر الأفعى. ولما التقت جاي دي، علمت ان زوجها ورث تلك الشخصية الساحرة الجذابة عن والده. الا ان الوالد كان أكثر لباقة وانفتاحاً مع مشاعره وأحاسيسه. عندما أتت الى البيت للمرة الأولى ومعها جون الصغير، أعرب جاي دي صراحةً عن تشككه بها واعتراضه الشديد على زواج ابنه منها. لم يكن لدى تانيا أدنى شك في ان جاي دي رجل قوي يعتبر كلامه أوامر عسكرية، كما انه رجل أعمال خارق الذكاء وخبير معترف به في حقله. ولأنه صاحب قدرة فائقة على تحليل الشخصيات

والصفات، فقد لاحظ تحولها من فتاة خرجت لتوها من المدرسة ولا تعرف الكثير عما يدور حولها الى سيدة شابة راقية ذات شخصية قوية وذكية.

وبدأت معارضته لها تتحول تدريجياً الى احترام واعجاب. منذ لها قبل خمس سنوات يد مصادقة هادئة. ومع انه لم يسألها ابداً عن علاقتها مع جايك، كانت تشعر بأنه يعرف الظروف التي أحاطت بزواجها. انه لا يعرف بالطبع الحقيقة كاملة، فتلك السر لها وحدها وهي تحافظ عليه حفاظها على ابنها. ومع ذلك، لذكاء جاي دي وعاطفته الفياضة جعلا اقامتها في ذلك البيت امراً يمكن تحمله. الا انها كانت على استعداد للعيش في اي جحيم يمنح ابنها امناً، وعائلة، ومستقبلاً.

كانت جوليا جهزت المائدة ووضعت عليها أطباق الصنف الأول، عندما وصلت تانيا الى المطبخ. اعتذرت منها لوصولها متأخرة، الا ان سيدة المنزل تفادت التعليق على ذلك ودعتها مع الآخرين الى تناول العشاء. وفيما كان جون يحاول الجلوس قرب جدته، كان جاي دي يمسك كرسي تانيا ويساعدها على الجلوس تأدباً واحتراماً. ابتسمت تانيا للرجل الجالس الى الجانب المقابل من المائدة، وشعرت بسرور بالغ عندما وجه اليها ابتسامة عائلية وقال:

ـ انت تبدين رائعة في هذا الفستان. وهذا لا يعني انك لست رائعة عندما ترتدين أي شيء آخر.

نظرت الى وجهه الوسيم وتأملت بسرعة ملامحه القوية البارزة. ثم قالت له بصوت دافئ، ونبرة مهذبة:

ـ أنت كريم النفس الى درجة كبيرة. ولكن الفتاة تحب سماع مثل هذه الكلمات، مهما كانت غير صحيحة.

تبادلا النظرات الدالة التي تحمل معها الكثير من المعاني، والتي لا يمكن تجاهلها. كان جاي دي وجوليا يقيمان باستمرار حفلات مختلفة لكبار الشخصيات في الشركة. وأصبح من المتعارف عليه ان تكون تانيا

رفيقة باتريك في هذه المناسبات. فزوجها موجود في افريقيا الى اجل غير مسمى، وباتريك مطلق منذ ثلاث سنوات ولا يمكنه العودة الى زوجته لأنها تزوجت رجلاً آخر. حدثت تانيا دائماً الحد من مشاعرها واحاسيسها تجاه هذا الرجل الوسيم والجذاب. وعلى الرغم من انهما لم يتفوها بأي كلمة سرية تجاه الروابط القليلة التي التقيا خلالها عن الغرام، كانت تانيا تعلم ان العلاقة بينهما ليست كأي صداقة تقوم بين شخصين عاديين. كان كل منهما يشعر بوجود الشخص الآخر الى درجة كبيرة، ولكن اخلاقها وتمسكها بالمحافظة لم تسمح لها بنسيان خاتم الزواج وقسم الاخلاص والوفاء... بغض النظر عن تصرفات الرجل الذي عاهدت النفس على حمل اسمه ومسح مسائله بهدوء.

ـ اخبرني، يا باتريك، الى اين ذهبت هذه المرة؟ لم اعرف انك كنت غائباً عن البلاد.

ـ كانت رحلة مفاجئة الى اسكتلندا، ثم توجهت الى جنوب افريقيا.

أحس جاي دي بالانقباض الطفيف الذي شعرت به تانيا، فتدخل قائلاً:

ـ من القوانين المتبعة في هذا البيت، يا باتريك، ان جوليا لا تسمح للجالسين الى مائدة الطعام بالتحدث عن امور العمل.

ثم ابتسم لزوجته وقال لها بمرح، محاولاً تحويل الاهتمام الى موضوع آخر:

ـ لا يمكن لأي انسان ان يحول انتباهه الى أمور اخرى وهو يتذوق هذا الحساء الشهي اللذيذ. انه حقاً رائع... كالعادة. الا ان جون اعاد المسألة الى نقطة الصفر عندما سأل بحماس واضح:

ـ هل قلت انك ذهبت الى افريقيا، يا عمي باتريك؟

تدخلت تانيا بسرعة وقالت لابنها:

ـ جون! الا تسمع ما قاله جدك؟ انتظر حتى تنتهي من تناول

الطعام.

- حسناً، يا أمي.

شعرت تانيا بأن اهتمام ابنها المفاجيء بأبيه سوف يتلاشى بسرعة، وبمجرد إخلاء الطاولة من صحون الحلوى. لم تكن على استعداد ابداً للاعتراف امام بقية أفراد العائلة بعزمها على توجيه رسالة الى جايلك تحثه على العودة. نظرت الى جوليا فلاحظت انزعاجاً طفيفاً. تصورت انه ناجم عن تحدثها بقسوة لا مبرر لها مع ابنها الصغير الذي لم يكن يريد إلّا ان يسأل عن والده. اعترفت لنفسها بأن هذه هي الحقيقة، ولكنها لم ترد ان يفسد لها ذكر اسم جايلك حفلة العشاء الهادئة. عاد جاي دي الى التحدث بأسلوبه الذكي:

- قبل وصولكما أنت وجون هذه الليلة، كنا نبحث احتمالات اقامة حفلة عشاء صغيرة بمناسبة عيد زواجنا الخامس والثلاثين.

قالت له تانيا موافقة:

- اعتقد انها فكرة ممتازة.

- اني مسرور لسماع ذلك. ظنت جوليا ان اقامة حفلة في منزلنا بمناسبة عيد زواجنا فكرة سيئة، مع انها عادة تسعى بكل جهدها لإقامة الحفلات.

ابتسمت تانيا ووجهت كلامها الى والدة زوجها قائلة:

- اذا سمح لنا الطقس، يا جوليا، فان بامكاننا اقامتها في الحديقة حيث تكون جميع أزهار الربيع في أبهى حلة وأجملها. أتصور ان ذلك سيكون أفضل بكثير من اقامتها داخل البيت.

- وسوف تعدين لنا ذلك النوع من السمك الذي يحبه زوجك كثيراً.

هيمنت موضوعات الضيوف وأطباق الطعام وكيفية تجهيز الحفلة على أحاديث الراشدين الأربعة. وفيما كانت جوليا تقدم القهوة، رن جرس الهاتف في غرفة الجلوس. ولما علمت جوليا من المتحدث انه يريد التكلم مع جاي دي، ابلغته بذلك وطلبت اليه احضار فنجان

القهوة معه. ولأن جون الصغير ذهب قبل ذلك الى غرفته، ظل باتريك وتانيا وحدهما. . . على انفراد. سألته بشيء من العصبية:

- قل لي، يا باتريك، هل التقيت جايلك عندما كنت في افريقيا؟

نظر اليها بسرعة وكأنه يحاول تجنب نظراتها الحادة، وقال:

- نعم، نعم، التقيته هناك.

- كيف يسير ذلك المشروع الذي يعمل فيه؟

كانت تعرف تماماً انها تغشه بهذا السؤال، وذلك كي تعلم منه فرص قبول جايلك الدعوة التي ستوجهها اليه للعودة الى البيت. سألها باتريك ببرودة:

- أي منها؟ الذي بدأ ببنيه أم الذي أخذه قبل فترة وجيزة؟

احست بارتياح عظيم وتنهدت بقوة دون ان تدري، ثم قالت:

- لم أعلم انه يعمل على مشروعين مختلفين. من المؤكد اذاً انه منهمك جداً في العمل.

- لويس دانفورد مساعد قدير جداً، ولكنه لا يزال يتحتم على جايلك التنقل دائماً بين مراكز المشروعين. هذا في الوقت الحاضر، على الأقل.

سرّت تانيا كثيراً بعودة جوليا لأنها انقذتها من الاضطرار لشرح الأسباب التي تدعوها لتوجيه مثل هذه الاسئلة. وكان واضحاً ان باتريك على وشك الاستفسار عن سبب اهتمامها المفاجيء. دخل جاي دي بعد لحظات من عودة زوجته، ثم ابتسم باعتذار لتانيا وغرق في حديث هام مع باتريك حول شؤون العمل. وفيما بدت جوليا منهمكة في ترتيب بعض الأمور، راحت تانيا تراقب باهتمام الرجل الذي تعرفه منذ بضع سنوات. . . وبخاصة لأن عودة جايلك الى الولايات المتحدة بدت الآن غير قريبة اطلاقاً.

لاحظت تانيا خلال سنوات الفتها مع جاي دي وجوليا ان عدداً كبيراً من الاشخاص يحاولون استغلال ثروتهما ونفوذهما. إلّا ان احد الأمور الأولى التي اعجبتها في باتريك وايتر كان رفضه المراوغة مع

حالي حتى او توجيه كلمات الاطراء الفارغة له. كان سيد نفسه ولم يتردد مرة في الاعراب عن وجهة نظر مناقضة لافكار رئيسه . . . والاصرار عليها. ولكنه لم يكن مستقلاً تماماً بحيث انه يطلب نصيحة الكهل المحنك والاستفادة من خبرته . . . اذا شعر بأي ضرورة لذلك. ولاحظت دانيا ايضاً ان ما يجلبه في ذلك الرجل الوسيم لم يكن مجرد الشكل الجلد والجاذبية الساحرة. وفجأة أحست بيد صغيرة تلمس كتفها، وبصوت ناعم يقول لها:

- هل يمكننا الذهاب لاصدقائنا الآن، يا أمي؟

سألته بصوت مرتفع قليلاً لفت انتباه الرجلين:

- نذهب وبعد ماذا، يا حبيبي؟

- أريد ان اكتب رسالة الى أبي أطلب فيها منه الحضور الى البيت بمجرد حصوله على اجازة.

تأملت دانيا زهوه واعتزازه، لكنها احمرت وجنتاها خجلاً عندما شعرت بأن عيون الآخرين مركزة عليها. لم يكن باتريك يعرف شيئاً عن العداء المستحكم بينها وبين زوجها الا افتراضياً. أما الوالدان فكانا يعرفان الحقيقة، وتنتظرا بالتالي رد فعلها على جملة ابنها. تدخلت جوليا بحزم قائلة:

- اعتقد انها فكرة ممتازة، يا جوني.

كانت لهجتها مليئة بالتحدي لدانيا، فكيف يمكنها بعد هذا الكلام الا ان توافق!

ابتسمت بصعوبة وقالت بهدوء بالغ:

- وانا ايضاً يا حبيبي، والا لما كنت اقترحت ذلك على جوني.

لم تكن راغبة في متابعة النقاش او الرد على اي اسئلة قد تكون محرجة. وقفت وامسكت بيد ابنها ثم خرجت وإياه بهدوء من قاعة الجلوس. ولما وصلا الى القاعة الصغيرة المحاذية لغرفة نومها، سألها جوني بتردد:

- تريدين كتابة الرسالة، أليس كذلك؟

ابتسمت له وهي تحاول اخفاء اضطرابها. ولكن لماذا القلق؟ ألم تفهم من باتريك ان ثمة احتمالاً ضئيلاً في امكانية حضور جايلك او قدرته على ذلك؟

- نعم، يا حبيبي، سنكتبها معاً.

بحث جوني في جيب قميصه واخرج صورة فوتوغرافية قائلاً:

- يمكننا ايضاً ارسال هذه الصورة اليه. أخذها لي جدي عندما حصلت على دراجتي الجديدة. أريد ان يعرف أبي كيف أبدو هذه الايام.

لم يكن جوني وحده في تلك الصورة، بل كانت هي معه ايضاً. كان شعرها الذهبي يتطاير في الهواء، وتبدو كاحدى ارقى سيدات المجتمع. لم تكن راغبة في ارسال تلك الصورة، مع ما في ذلك من غرابة. قالت له بهدوء ورقة:

- توجد مع والدك صور لك اخذت في المدرسة.

- ولكنني لا أشبه نفسي فيها وكنت فاقداً أحد اسناني. أرجوك، الا يمكننا ارسال هذه الصورة الجديدة؟

كانت عيناه الزرقاوان الجميلتان تنظران اليها بتوسل واستجداء. واحست بانها لا يمكن ان ترفض طلبه . . . مهما كان. واعترفت لنفسها بان جوني أصبح في سن يحتاج معها الى وجود رجل يساعده ويرشده . . . هذه هي مسؤولية والده قبل كل شيء. كانت تشعر بالذنب لانها حرمت ابنها من أبيه. ولكن ذلك الشعور زال من تفكيرها بعد ساعة من الزمن، عندما كانا ينهيان رسالتيهما الى جايلك. كانت رسالته مناشدة قلبية مهذبة لأبيه للحضور الى البيت خلال فصل الصيف. اما رسالتها هي فكانت بسيطة وخالية من اي مشاعر وعواطف. ذكرت له فيها ان جوني بدأ يشكك بجدية بأن له والداً، مضيفة بانه ربما كان من الأفضل حضوره لبضعة أسابيع اذا سمحت له اعماله بذلك.

وفيما كانت تلصق الطوابع البريدية المطلوبة، أحست بوخز الضمير. انها تحتقر جايك لاسيتر بسبب ما قام به في الماضي. ولكنها، من أجل جون، مستعدة للتحمل وجرعه بضعة أسابيع.. هذا اذا أتى. وكانت تشعر بصورة شبه مؤكدة انه... لن يأتي.

٢ - حفلة المفاجآت

www.liilas.com

نظر اليها ابنها بإعجاب، فيما كانت تضع له جهاز التلفزيون الثقال فوق مكتب صغير في غرفة نومه، وقال:

- انك جميلة وأنيقة، يا أمي.

- هل يعجبك الفستان؟ اشتريته خصيصاً لحضور حفلة الليلة بمناسبة عيد زواج جديك.

تنهد الصبي وقال:

- انه رائع. اوه، كم اتمنى حضور هذه الحفلة!

- وتحضر البرامج التلفزيونية التي لن تراها. اعتقد ان فيلم الليلة هو عن رعاة البقر.

- حقاً؟

تلقاها بحماسة ظاهرة لأنه يحب هذا النوع من الأفلام السينمائية، في حين أن معظم البرامج الأخرى تضجره وتزعجه. ابتسمت له [illegible] وقالت:

- أعتقد أن بعض الضيوف وصلوا بالفعل. سوف تكون على ما يرام، أليس كذلك؟

- بالطبع.

- أطفئ الأنوار في تمام العاشرة. سأعود لأتأكد من ذلك.

ابتسم جون لأمه فيما كانت تغادر غرفته، وقال لها:

- حسناً يا أمي. في العاشرة وخمس دقائق سأكون غارقاً في نوم عميق.

كان جون يشعر أنه لم يعد بحاجة لمن يضعه في السرير ويساعده [illegible] في الفعل [illegible] تلك الحالة [illegible].

[illegible] مكتملة لا ينقصها شيء سوى المطبخ، الأمر الذي يمنحها حرية التصرف والتنقل دون إزعاج من الآخرين.

وكان البيت ذاته، المبني من الحجارة والأخشاب على طراز بيوت [illegible] بحيرة تايلور روك. وكان لديه حوض خاص به [illegible] المجاورة لتحسين نفسه ومحاولة الإبتعاد عن التشنج والإزعاج [illegible] دون تردد. ولما كان المنزل وحديقته يعجان بالضيوف تلك الأمسية.

دق جرس الباب فنادت تايا جوليا قادمة من المطبخ أنها ستفتح الباب وتستقبل القادمين. دخل باتريك وابنه ومعه فتاة جميلة ذات

شعر أسود داكن تزين أصابعها ثلاثة خواتم جميلة. مدت تايا يدها [illegible]

- أهلاً. أنا مسرورة جداً لتمكنك من الحضور. [illegible]

نظرت إليها شيلا مقيّمة شكلها، وفي عينيها شيء من الحسد و [illegible]

- إنه فستان جميل جداً بالمقارنة مع فستانك الشنيع يا تايا.

كانت شيلا أصغر منها بأربع سنوات، إلا أن تايا لم تشعر أبداً بأنها مقربة لدى شقيقة باتريك. وأحست [illegible] الليلة أن تستقبلها ببرودة وكبرياء، لأن تصرفات الفتاة الأخرى كانت تثير قرفها في العادة. ولما لاحظت تايا أن باتريك يراقب باهتمام وإعجاب فستانها الجميل وفتحة العنق الكبيرة إلى حد، سمعته يسألها:

- أنا لم نتأخر كثيراً، أليس كذلك؟

- لا، أبداً. الآخرون موجودون في الحديقة.

خرج الثلاثة معاً من الباب الزجاجي، فتعلق جاي [illegible] من الشخصين اللذين كان يتحدث معهما وأتى للترحيب بالقادمين الجدد. حضرت زوجته بعد دقائق قليلة ومعها طبق [illegible].

وأمضت تايا الدقائق الثلاثين التالية منهمكة في فتح الباب الرئيسي واستقبال الضيوف، بالإضافة إلى مساعدة والدة زوجها في إعداد الطاولة الكبيرة واستبدال الصحون بأخرى نظيفة . . . عندما اقترب منها باتريك وطلبها بالجلوس معه على أحد المقاعد الخشبية [illegible] وبشكل قريب جداً من كتفيها. أحست بشيء من [illegible] يدل على حقيقة شعورها.

- لا أعرف لماذا لا يستخدم الرجل العجوز أشخاصاً متخصصين بإعداد الحفلات وخدمة الضيوف. ألا يوفر ذلك عليكما الكثير من التعب والإرهاق؟

ابتسمت تانيا وقالت له:

- ولكن العمل في تحضير الحفلة لن يعود متعة لنا. هذا كلام ناس، ولكنه صحيح. لعلي لو أحضر جدي فريقاً متخصصاً فإنها ستصر على مراقبة كل خطوة بنفسها. هذه هي طبيعتها.

- وما هي طبيعتك أنت؟

- شبيهتي ..؟

ترقرقت لحظة وتطلعت نحو الأشخاص الأربعين اللذين كانوا يسرحون ويمرحون في الحديقة، ثم أضافت بهدوء:

- كنت على الأرجح سأدعو ربع هذا العدد وأشوي لهم شرائح اللحم على الفحم.

ابتسم باتريك وقال:

- [illegible] دعوة إلى حفلتي المفضلة. أنا أستمتع بالأكل والألفة [illegible].

- مثلي تماماً.

لم تستطع النظر إلى عينيه وحين نظرت، حولت عينيها عنه وقالت:

- أنا أملك سلة جميلة للغاية، أليس كذلك؟

- جداً. وتعوّل هذه المشروبات المنعشة [illegible] على حد [illegible] يدل على ذوق رفيع.

استمتعت تانيا بالانقياد إلى الطبيعة الهادئة الحالمة، وتمنت من صميم قلبها أن يضمها رجل إلى صدره... ولو لفترة قصيرة. وكأن باتريك أحس بما يدور في رأسها، سألها بنعومة ورقة:

- كم من الشراب تظنين سنستمتع استمتاعاً ودهشة إذا وضعنا في تلك الزاوية قرب مكبرات الصوت؟

- ربما جميعها.

أمسك بيدها ثم قال لها وهو يسحب واقفاً:

- لنتجول.

تصورت تانيا أنهما سيرقصان وراء جدار صخري يصد نظرات الآخرين عنهما. إذا كان أحد لن يستطيع رؤيتهما، فاحتضنها قليلاً. وتساءلت عن آخر مرة كانت فيها بين ذراعي رجل، فلم تجد الجواب. لم تعترض على ضمها إليه بقوة، لا بل إنها أراحت رأسها على صدره. وكم استمتعت في ذلك، مع أنها سمحت ليديه بالوصول إلى ما بين كتفيها

- تانيا!

أيقظها صوته الناعم من أحلام اليقظة فرفعت رأسها ونظرت إلى وجهه البرونزي [illegible]. كانت قريبة منه إلى [illegible] خطوة، وكان وجهها يشع ببريق الهدوء والارتياح.

- أنت رائعة الجمال.

أحست بأن قلبها يقفز في مكانه. وشعرت في لحظة الضعف تلك [illegible] والإخلاص الذي فقدته من [illegible] قبل سنوات عدة. ولكن اللحظة مرت بسرعة. ووضعت إصبعها إلى فمه وقالت له:

- يا باتريك، لا تقل شيئاً.

أمسك بإصبعها وقبله بحنان، ثم قال لها وهو يحلق عينيها الحالمتين:

- لم أقل شيئاً منذ أكثر من ستة. ولكن... هل من الضروري أن أقول شيئاً؟ أنت وأنا شخصان راشدان وليس علينا أن نلعب أو نناور.

كيف يمكنه أن [illegible] طريقة [illegible] زواجها ليس إلا كلمات قليلة سجلت في كتاب...

- أنت لا تعرف شيئاً. أرجوك، لن تتمكن من تفهمي بأي أمر. نظر إليها بحنان وقال بلهجة تقرب إلى [illegible] منه إلى الدعوة

- تناول معي العشاء في الأسبوع المقبل. سألقاك في أي مكان تختارين؛

هزت رأسها نفياً وأكدت له بلهجة ضعيفة مرتبكة:

- لا . . . لا يمكنني ذلك.

خيم الصمت بينهما لحظات ثانية ثم سألها بأسلوب حزين:

- هل كنت مخطئاً في تقديري للأمور؟ ألا أعجبك؟!

انتهت المقطوعة الموسيقية في تلك الآونة، فسحبت تانيا نفسها من بين ذراعيه المتين ! تقريبا خطوتها. أحست بأنه كان عليها الانضمام الى بقية المدعوين، وذلك الغضب على ما يبدو منعها من وضع حد لذلك الحديث الذي لا يعني.

- وهل يعقل ألا تعجب أي امرأة؟! إنك رجل قوي متسم وجذاب . . . صفات لو اجتمعت في رجل واحد، لوجدت أي امرأة صعوبة فائقة في مقاومتها. إني أجدك جذاباً للغاية، يا باتريك. ولهذا السبب بالذات، أرفض الاجتماع بك خارج نطاق هذا المنزل.

سألها بلهجة غاضبة قليلاً:

- ما هي هذه السيطرة المجنونة التي يفرضها عليك جدك الأمير؟ فماذا تخافين من رجل لم تشاهديه سوى سبعة أيام من أصل سبع سنوات؟

كانا لا يزالان واقفين في تلك الزاوية المنعزلة، بعيداً عن بقية الضيوف. قالت تانيا لنفسها إنها غير قادرة على الافصاح عن السبب الحقيقي لزواجها المقبل، حتى لباتريك الذي أصبحت تحبه الى حد. تنهدت وقالت له بحزم وقوة:

- ليس لجدك أي سيطرة علي. أنا أدير مجرى حياتي بنفسي.

- وليس لي الحق بالتدخل في شؤونك، حتى ولو كنت راغباً في جعلها شؤوني أنا أيضاً؟

تسمرت تانيا في مكانها وشعرت بألمها وحدها وليس هناك من تستند إليه. ولكن باتريك رجل قوي جداً، قوي الى درجة كبيرة، فلماذا لا تستند إليه؟ أطبقت شفتيها بقوة كيلا تصدر عنها كلمات

الاستسلام والضعف. [illegible] صوت [illegible] ووجه منطلقة مقتحمة

- جورج بحاجة إلى والد حقيقي، وليس إلى والد بالاسم . . . كما هي الحال مع جدك.

ردت عليه بصوت مرتجف يشوبه القلق وعدم الثقة:

- أنت لست منصفاً في كلامك هذا يا باتريك.

- كن الانصاف، يا تانيا.

- اعذرني، يجب أن أذهب إلى غرفة جورج لأتأكد من ذهابه إلى النوم.

تركته مسرعة لأنها خافت من الاستسلام لتلك الرغبة القوية التي كانت [illegible] رأسه، ربما [illegible] الى الطابق العلوي، حتى اعترضتها جوليا قائلة:

- أنا بحاجة الى المزيد من قطع الثلج، فهل يمكنك احضارها لنا؟

- أنا سأحضرها، لأن تانيا ذاهبة الآن إلى غرفة جورج.

اضطربت تانيا لأنه لم يكن إلا على بعد خطوتين وراءها. شكرته جوليا مبتسمة ثم قالت لزوجة ابنها:

- قبّلي جورج عني وأخبريه أني أتمنى له ليلة سعيدة وهانئة.

- سأفعل، [illegible].

مضت جوليا في سبيلها، والتفتت تانيا إلى باتريك وقالت له:

- ستجد أكياساً جاهزة في الثلاجة. أظن أن أربعة منها تكون كافية في الوقت الحاضر.

استدارت نحو غرفة النوم، ولكن باتريك أمسك بذراعها وجذبها إلى المخزن المجاور حيث ضمها بقوة الى صدره. تحركت شفتاها اعتراضاً واحتجاجاً. ولكن شفتيه [illegible] ولم تلبث أن [illegible] عندما سمعت تنهد بسرور وارتياح. أمسك رأسها بيديه القويتين ورفع وجهها نحوه، ثم قال متمتماً:

- من المؤكد أن جدك قد فقد عقله كي يترك امرأة جذابة ورائعة

منك بعيداً عنه

- نعم أنا عجوز لأني فعلت ذلك!

نهضت دنيا مذعورة وصرخت. قفزت بسرعة من بين ذراعي والديك. عرفت من الخوف [illegible] الصغيرة ابدو. [illegible] ظلت تحدق مذهولة بصاحبه وهي لا تصدق عينيها او اذنيها. وسمعت باتريك يقول:

- لقد تركتها منذ زمن بعيد يا الاحمق. انها لم تعد لك.

لم يعلق جوبلان على هذه الكلمات بشيء. [illegible] الماضي الذي كان يعتقد انه [illegible] كانت تشعر بشوق بعد طفلها، ولكنها لا تعرف تفسيره او وصفه. [illegible] تصوره [illegible] بعض لحظات بارتعاش وقال لها بلهجة الأمر:

- تعالي الى هنا يا ناتاليا.

ادهشها [illegible] الماضي. [illegible] لم تعد قادرة على [illegible] الصغيرة. اقتربت منه بخطوات بطيئة. ثم توقفت [illegible] وجهه بالتغيرات التي طرأت عليه طوال السنوات الأربع التي لم تره فيها.

كان لوجهه [illegible] التجاعيد [illegible] على تجارب الحياة [illegible] والعذاب. الا انه لا يزال وسيماً وحاد الملامح. [illegible] على كل شيء [illegible] كانت [illegible] وملامحه [illegible] لم يولي نفسه [illegible] عندما قال لباتريك بسخرية لاذعة:

- عليك الذهاب الآن يا والتر.

اخرجها صوت اقفال الباب الزجاجي من صمتها، فقالت له باستهزاء:

- لم يتغير شيء على الاطلاق

امسك كتفيها بقوة وشدها بقسوة، بينما كان يغرز اصابعه في

جسدها:

- ايتها المرأة المتعبة! كنت اتوقع من زوجتي استقبالاً افضل بكثير من هذا الاستقبال البارد!

ضمها اليه بعنف ثم امسك يديها اللتين كانتا على وشك الانقضاض على [illegible]. [illegible] المقاومة على الرغم من محاولاتها اليائسة. كان يتلذذ بإيذائها [illegible] نظرة [illegible] عليها بكل هذه السهولة والبساطة. ضحك بصوت عال عندما رأى نظرات الحقد المتقدة في عينيها وسألها ساخراً:

- ما بك؟ الم اكن ناعماً ورقيقاً معك؟

بصقت في وجهه وصفعته على خده بقوة صارخة:

- حيوان! متوحش!

قبض على يدها الجانية بعصبية وعنف. وضغط على اصابعها بوحشية حتى كاد يحطمها، فيما امسكت يده الاخرى بشعرها وادنى رأسها امامه قائلاً:

- كنت اعرف ان هذا الرقي الذي تتظاهرين به، ما هو الا حجاب شفاف تختبئ خلفه الحقيقة وراءه. انك لا تزالين تلك القطة المتوحشة ذاتها التي احضرتها الى هذا البيت قبل سبع سنوات.

صرخت به والالم يكاد يخنقها وجعها:

- دعني! اتركني!

- اتركك يا بني

[illegible] ولكن الانفلات لم يكن سريعاً. الآن حانت قال لولده بنظرة ساخرة:

- بعد قليل، يا ابي. اريد التأكد من ان زوجتي تعرف قيمة وجودي في البيت.

خفف قليلاً من ضغطه على اصابعها ورأسها فادركت انها سوف [illegible]

[illegible]
لحظات من فيضه حتى [illegible]
[illegible]
[illegible]
اصبعاً على انفها وقبل ساقيها بحيث الم عشته:
ـ [illegible]
[illegible]
ـ اني مسرور بعودتي يا امي.
[illegible]
[illegible] وغضباً.
ـ لا يمكنك يا بني تصور مدى سعادتي برؤ يتك. تأخرت كثيراً
في العودة يا جابك.
ـ [illegible] كثيراً خلال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
النساء.
ـ ستكون الولدة سعيدة جداً برؤ يتك.
[illegible]
وقال بصوت غلب عليه التأثر:
[illegible]
[illegible] الى [illegible]
ابتسم جابك وقال لوالدته:
ـ [illegible]
ـ [illegible]
[illegible]

كان يبدو سعيداً للغاية، ولكنه كان يتأملها بتفحص للتأكد من انه لم تصب بأي اذى نتيجة تصرف ابنه القاسي. رسمت له ابتسامة خفيفة ولكن صادقة وغلفة في سرائرها، ثم قالت:
ـ كانت مفاجأة لي بقدر ما كانت لك.
ـ هذا صحيح يا ليلى. وربما كانت مفاجأتها اكبر واشد.
[illegible] القسوة الهولاندية تتمع في عينيه، فتذكرت [illegible]
[illegible] كانت [illegible] بامكانها ايجاد وسيلة لانهاء هذه
العلاقات الزوجية [illegible] الى مستوى الرد عليها
بالمثل. احس جابك [illegible] فاقترب منها ووضع ذراعه
بحنان على كتفيها قائلاً لابيه:
ـ زوجتك [illegible] يا جابك. وذلك الصبي ابنك...
[illegible] رائع... [illegible] في عمر الشباب.
فتح الباب الزجاجي فجأة، فتحولت العيون الى السيدة
القادمة [illegible]. ابتسم جابك وقال لها بهدوء:
ـ مرحبا يا امي.
[illegible] عنها [illegible] في حلمي، ثم [illegible]
[illegible]
ـ [illegible] جابك! [illegible]!
ـ [illegible] يا امي. [illegible]
طوّق [illegible] السيدة الباكية بذراعيه، ووجه اليها ابتسامة ناعمة
[illegible]
ـ كفي بكاء يا امي. لا اريد ان تشوه الدموع وجهك [illegible] في
[illegible].
ابتسمت الام بحنان وقالت:
ـ اني سعيدة للغاية [illegible]! هل كنت تعلم بعودته يا جدي
[illegible]؟
ـ لا يا عزيزتي. لم تكن لدي اي فكرة على الاطلاق.

ظل جاك لفترة طويلة على حدة والقلق [illegible] وقال:

ـ لا أريد أحداً يعرفني، فالله [illegible] ذلك.

[illegible] أربعة [illegible] على [illegible]

ـ متى طريقاً هذه الطرق، أليس كذلك؟

ـ لا [illegible]

[illegible] أرجوك [illegible] أن . . .

رفع جاك يدي ذراعه عن كتف زوجته وقال لها:

ـ اهدأي قليلاً أيتها العزيزة. لنترك بحث هذه الأمور إلى وقت آخر، ولنكتفِ الآن بالنظر [illegible]

ـ [illegible] لم يعد [illegible] إلا [illegible] بالانتباه، وأن الرفاق العائلة لا يحتملون وجودها إلا بسبب جوف. وقالت لنفسها إنها لا تريد منهم أكثر من ذلك . . .

[illegible] على الحديث، فانسحبت ثانيا بهدوء [illegible] [illegible] إلى غرفتها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحائط، [illegible] أن ذلك لوجه [illegible] عنها وعن مشاعرها.

[illegible] كانت [illegible] على [illegible] قرب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ساعة، [illegible] داخلها. إذا تذكر [illegible] [illegible] الاستقرار [illegible] إلى حين أنها لا تكاد تذكر [illegible]

لرقبة الناعمة؟ شعرت بالخجل والحقد الذاتي. أخضعتها رغبات [illegible] [illegible] محرومة من رجل تحترمه وتشعر معه. كانت تعتقد دائماً أنها تمارس [illegible] [illegible] . ألم يمضِ ذلك [illegible] [illegible]؟

[illegible] وصفها بلطف. كم أنها صدمت برودة [illegible] [illegible] ما حدث [illegible] ساعد كثيراً على تخفيف الحاجز الدفاعي الذي كانت عليه . . .

[illegible] نفسها بأنها أصبحت الآن قادرة على معالجة الأمور بهدوء ورويّة [illegible] لا يمكن تحمل خطره. [illegible] الآن أخطر من السابق لأنه أصبح على ما يبدو لا يعرف الرحمة أو الشفقة. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كان يحتقر وراءها.

[illegible] التخفيف من حدة [illegible]. [illegible] [illegible] [illegible] على جبينه الناعم وهمست:

ـ تصبح على خير يا حبيبي.

[illegible] ثانيا إلى غرفتها بهدوء وحذر [illegible] خوفاً من إيقاظ الصبي. وما أن دخلت وأغلقت الباب وراءها حتى تسمرت في مكانها [illegible] [illegible] سريرها. كان جاك يضع رأسه على يديه وينظر إليها ببرودة

ـ خيراً. وكان يبدو جذاباً للغاية فوق الغطاء الأزرق الناعم. ألأنها حلاقته الساحرة وحركته المتزنة، والقميص [illegible] بصفحة وردية.

ـ ألن تأمريني بمغادرة سريرك؟

جففت شعرها بالمنشفة الناعمة التي [illegible] من وشك الالتقاء، ومرّت تنظيماً أنها غير مكترثة بوجوده [illegible] فيما كانت تسير نحو المرآة لتسرّح شعرها.

ـ وهل أفعل ذلك؟

جلس بجسده على حافة السرير، وأصبح بالتالي قادراً على مشاهدة صورتها في المرآة. ثم قال لها:

ـ لم تتوقعي عودتي، أليس كذلك؟

نظرت اليه بحدة وقالت له بسخرية عاطفة:

ـ لا، لم أتوقع عودتك.

ـ لا أدري السبب الحقيقي لذلك. لقد شعرت بأن معظم [illegible] انتهت بسببك.

[illegible] منه ومن [illegible] على [illegible] وقالت:

ـ [illegible] تقول هذا الكلام [illegible] رسالة [illegible] كنت أرسلت لك رسالة [illegible] يكفي [illegible] تحمله [illegible].

ضحك جايلز وقال لها بسخرية لاذعة:

ـ رسالة؟ [illegible] الأوراق [illegible] التي لم تحمل أبداً [illegible] شخصي [illegible] الرسالة . . . [illegible] بشكل موجز كملف [illegible] أو مرتبة [illegible].

[illegible] بكثير مما كانت تتوقعه:

ـ [illegible] أن تطلب الانفصال [illegible] في [illegible] بدون [illegible] تسألني مرة عن أحوالي أو [illegible] أعمالي. [illegible] شخصي [illegible]

الاجابات او التعليقات التي كنت تتوقعها مني على مثل هذه [illegible] [illegible] في [illegible] التي [illegible]

ـ ربما لم تفعل ذلك، لما كان جوني مليء بتلك الفكرة السخيفة بأنه [illegible] وائلة؟

ـ كنت [illegible] كان [illegible] لو انني لم [illegible]. لا بدّ انك تألمت كثيراً عندما اضطررت لكتابة الرسالة الأخيرة التي تذكّريني فيها بواجباتي كأب!

خافت تانيا ان تردّ على كلماته القاسية. لم تثق بقدرتها على التحكم بأعصابها. وامتنعت عن الرد، لأن جوابها سوف يزيد الوضع السيء سوءاً. ولكن عينيها كانتا تقدحان شرراً وهما تراقبان جايلز يقترب منها ويقول لها بشكل جارح:

ـ لو أردت التخلّي عن مسؤولياتي كوالد، لما كنت تزوجتك في [illegible]

[illegible]

تلاقت النظرات القلقة والغاضبة عبر المرآة، ولكن تانيا حافظت على برودة أعصابها المصطنعة وقالت له بهدوء:

ـ أنا لم اقترح عودتك للمجيء الى افريقيا، ولم اطلب منك مرة البقاء هناك.

ـ [illegible] سوى الاحتقار، والتعلّق الصامت بزوال الى الأبد. لم تعطني [illegible] كان جوني طفلاً [illegible] وليس الى أبيه. كنت أشاهد بوضوح تام الاحتقار والاشمئزاز كلما نظرت اليّ.

قالت له ببرودة قاسية:

ـ دعني أذكرك بأمر هام جداً. انا لم اطلب منك ابداً ان تتزوجني. لم اطلب منك سوى الاعتراف بأبوتك لجوني

- لو أعطيتك مثلي، لكنت هربت الى أبعد مكان في العالم ومعك [illegible]
[illegible]
[illegible]
من اضطراري لمحادثك.

أحست نانا التي احمر وجهها غضباً وحقداً قبل لحظات، بأنه جاء دورها الآن لتضحك بسخرية قائلة:

- تريد الحقيقة؟ [illegible] الآن في الخامسة من عمره ولا يعرف حتى كيف [illegible]
[illegible]
نفسر هذا الأمر ونوفق بينه وبين هذا الحب الأبوي العظيم الذي [illegible] الآن؟

ترددت قسمات وجهه لحظة، وشعرت نانا بأن سهامها أصابت مرماها. ثم سمعته يقول لها بعطف:

- [illegible] سمعت أصوات من [illegible]! ربما تقول [illegible] الطريقة [illegible] هذا [illegible] حدث [illegible]
[illegible]
مثل هذه السرعة. أعترف بأني لم أكن أتوق لبقائه طويلاً. [illegible]
[illegible]

ثم طوق خصرها بذراعيه وقال:

- أنت أيضاً كبرت ونضجت يا نانا. وهذا الجسم الذي [illegible]
[illegible]
جذابة ومكتملة النضوج.

شعرت أنه بطريقة أرادت من خلالها أن يشاهد اشمئزازها من ملامسته لها، إلا أنه رأت أنها كانت تقول لصدره وصدرها [illegible] أخرى.

- لا جدوى من هذا الحديث يا جاليا. وأظن أن الوقت قد حان كي أعود الى الحفلة.

سبقها بخطوة أكبر وسألها بعصبية ظاهرة:

- هل أعجبك بالولد ولو صدقتك؟

- لا!

جاء نفيها الصارخ يفصح عما كانت تريده ونال ذلك الغرور [illegible] في خديها.

- كانت المرة أول مرة..

[illegible] حتى بقية كلامها، وشعرت بغضب عارم لأن جاليا تمكن من استدراجها الى التوضيح والتفسير فيما تعمدت، ابتسم بزهو وانتصار قائلاً:

- اذن هذه في الوقت المناسب!

- انت لم تعد الآن بحسب جهلك.

- تأكدي من أني لن أنسى وجودي هنا.

أخذ سترته التي كان وضعها على كرسي وارتداها بهدوء ثم انحنى أمامها بشيء من الاستهزاء وقال:

- لنذهب معاً الى الحفلة.

٣ـ الصدمة

كانت جوليا أول من [illegible] من [illegible] الزجاجي، صعدت نحوها وامسكت بذراع ابنها في [illegible] عنده [illegible] [illegible].

ـ هل شاهدت جوني؟

نزعت تانيا على الفور قائلة

ـ كلا ... لماذا؟

وضع [illegible] على ذراعها برقة وقال متسائلاً بصوت [illegible] [illegible] أن [illegible].

ـ [illegible] لايقلقك بمثله الفضائح.

ـ قل لي [illegible] ... هل جوني صديقاً حبيب الفتاة؟ انه

[illegible] الأحمر من [illegible] كان صغيراً. انه لامس قلبا ونالها.

وافق جاليك والده على كلامها ثم نظر الى تانيا وقال لها بلهجة جادة:

ـ انه يبدو صبياً [illegible].

هل هذا [illegible] لها ام [illegible] على حسن تربيتها واهتمامها؟ أرادت ان تقول [illegible] ... [illegible] في لون الليل الحالك ... [illegible] عنها. كان جميع الرجال يرتدون سترات وربطات عنق ... [illegible] جاليك، بدا [illegible] مقبولاً [illegible] وجمالاً [illegible]. [illegible] ... [illegible] الظروف. كانت تذكر [illegible] وغير [illegible] بأنها زوجته. [illegible] ... [illegible] يقتربان منها، سمعت احدى السيدات تقول لها:

ـ لا شك انك سعيدة للغاية بعودة زوجك بعد هذه الفترة الطويلة.

ارغمت تانيا نفسها على تحويل انظارها عن جاليك الى السيدة [illegible]، وقالت:

ـ سوف تكون سعادة جون بالتأكيد ضعف ذلك.

ـ [illegible] ... [illegible]

ـ عندما وصل جاليك، كان الصبي نائماً

حاولت تانيا [illegible] ... [illegible] بصوت [illegible] المتلاطمة. الا ان صوت [illegible] في مكانها. حتى السيدة التي توجهت الى مجموعة اخرى واستدارت لتفاجأ بالشابة السمراء الجذابة تقبّل جاليك وتقول له بإغراء استفزازي:

ـ لماذا تحب المناجاة إلى هذه الدرجة يا جاك؟ كان بإمكانك [illegible]
[illegible]
أجابها [illegible] من السرور بسبب نظراتها التي تفصح
[illegible]
[illegible]
أسباب كثيرة ومتلاحقة [illegible] على العودة.
[illegible]
شيلا [illegible] مرافقته في [illegible] من عمرها عندما تزوج
[illegible]
[illegible]
الارتباك البادي على [illegible] وملامحها ببراءة مصطنعة:
ـ ألم يقل لك باتريك؟ رافقته في الرحلة التي قام بها منذ شهر
[illegible]
[illegible]
ـ [illegible]
ـ نعم، كانت رحلة عمل.
ـ [illegible]
[illegible]
[illegible]

كلمات شيلا.
ـ لا، لم يذكر لي باتريك شيئاً من هذا القبيل.
ابتسمت شيلا لأن هذه الجملة أوحت لها بأن جاك أيضاً لم يطلع زوجته بالأمر. أرادت التعليق على ذلك، ولكن تانيا سبقتها إلى الكلام:
ـ [illegible] عمله بعض الوقت.
ابتسم جاك [illegible] ونظر إلى شيلا، ثم قال:
ـ أتصور أنه كان بإمكان شيلا الترفيه عن نفسها، حتى لو لم أكن أنا هناك. ولكن، بما أن العمل كان يسمح لي بمنح نفسي إجازة قصيرة، فقد وجدت أن من واجبي الانضمام [illegible] الشركة بالوكالة.
سألته شيلا بغنج ودلال:
[illegible]
نظرت شيلا بإغراء نحو جاك قبل أن تجيب تانيا بالقول:
ـ لم أقم بالعديد من الرحلات ذات الطابع السياحي. كنت أريد [illegible]
[illegible] حاجة لإثارة غرائزهم عبثاً لأنهم سيعودون قريباً إلى زوجاتهم

والاطباء. انا مسرورة لان حالتك لم تعد من الضروري تطبيق هذه [illegible] الى
الوطن الا بعد مغامرات اخرى.

ثم نظرت اليه وسألته بدلال واضح:

ـ هل كنت مضطراً لان تتخذ هذا القرار؟

ـ اعتقد ان وجودك هنا [illegible] ببعض ما [illegible] قبل ان [illegible]

[illegible]

ـ كم ستبقى هنا يا جابك؟

ـ هل تشكين [illegible] اضطرابات معينة؟

ـ قليلاً من هذا وقليلاً من ذلك.

[illegible]

هناك اي مشاكل او امراض.

توقف لحظة ثم مضى الى القول:

ـ لقد [illegible] كثيرة [illegible] طويلة جداً.

[illegible]

رأسه. الرجل لانه قبل اقل من ساعة انه لم يتخذ بعد الفترة التي [illegible] ولكن... هل هو تماماً كذلك؟ لم يكن لدى ناتا ادنى شك في ان شيلا عامل مؤثر في اتخاذ هذا القرار... ولكنها ليست العامل الرئيسي الاساسي. [illegible] على السبب الحقيقي لقراره المفاجئ. وقررت ناتا ان تتصرف مرة اخرى كاحدى الصديقات، فقالت:

ـ اظن ان بامكاننا جميعاً تناول بعض المأكولات الخفيفة، ما رأيكم؟

اقترب باتريك منها بسرعة قائلاً:

ـ بكل سرور، وسأساعدك في حمل الصحون.

ابتسمت شيلا، التي بدت عليها السعادة [illegible] جابك، وقالت:

لعلها [illegible] الصحن لاني جائعة كثيراً... [illegible]

[illegible] باتريك [illegible] الصحون الاربعة لانه شعر بان يدي ناتا كانتا ترتجفان غير قادرتين على حمل اي شيء في الوقت الحاضر. امسكت هي بالطاولة كيلا تقع وسألته بصوت منخفض، ولكن بعصبية ظاهرة:

ـ لماذا لم تخبرني بان شيلا رافقتك في رحلتك؟

ـ انها شقيقتي، على الرغم من الفرق الشاسع في السن. [illegible] مرافقتي، فلم اجد سبباً يحول دون ذلك.

ثم نظر اليها بجدية وكأنه تذكر امراً مهماً، ومضى الى القول:

ـ ما تريدين معرفته حقاً هو لماذا لم اخبرك بانها... بانها... تعرفت الى جابك!

[illegible]

قراي،
جاء تعبها صريحاً وقوياً، اذ قالت:
- انه لا يعني اي شيء بالنسبة لي؟ شعرت بانني غبية جداً وتافهة عندك لا اعرف شيئاً بينما يعرف الآخرون كل شيء.
- عندما كدت اقول لها قبلة ان تعتني من حياتك، الا ان غضبه ايه بمجرد ان طلب منك ذلك؟ الا تركتني أقف هناك كالمخبولة بينما غرست أنت الى جانبه؟
وضعت ثدنا يدها بعصبية على جبينها وقالت:
- كانت صدمة قوية... كان صمتاً مزعجاً؟ لم اصدق انه حقاً عاد. لم اتصور ابداً انه سيعود حتى عندما كتبت له...
قاطعها باتريك بانفعال وضيق وبلهجة قاسية:
- انت طلبت منه ان يعود؟
نظرت اليه بعينين تتوسلان تفهمه وتحاوره وقالت:
- كنت مضطرة لذلك. ليس من اجلي انا... ولكن من اجل جون. كانت لديه تلك الفكرة المجنونة بان جانيك مات او انه في السجن، واصر على الكتابة اليه طالبا منه العودة.
- [illegible] ... انت ذكرت لي بنفسك ان جانيك بابيك جداً في مشروعين مختلفين. كنت آمل... كنت اعتقد انه لن يتمكن من الحضور.
تنهد باتريك وقال لها بجدية:
- نعم، اتذكر ذلك، ولكن... عندما تصورتك معه على انفراد في وقت لاحق الليلة، احس... احس...
احمرت وجنتاها بسرعة تنبهة للارض بيد، وبعد [illegible] صوتها من خلفي جانيك قائلة:
- [illegible] خرقة توجه الى الجانب الآخر من القاعة. تحي الا...
- الم تتعب بعد يا راتزا من تجهيز صحون الرحمة؟
كان جانيك يقف وراءها فاستدارت بسرعة لتواجهه [illegible]

[illegible]
- [illegible]
بدت باتريك كلام ابعث عمداً [illegible] جانيك ببرودة اعصاب حقيقية:
- هل اتاحت لك نظع اللحم؟
- لا، هذا ما كنت اريد بالضبط.
قابلت ثدنا نظراته الحزينة بتحد ظاهر، رافضة الشعور باي ذنب او خطيئة بسبب حديثها البريء تماما مع باتريك، وسمعت شيلا تقول لجانيك بدلال، وهي ترفع قطعة من الحلوى الى فمها:
- [illegible]
- نحن نتوقع الاعم والشمين. ما رأيك لو لعبنا الجميع ايضاً افضل واستقلالا اكثر سعادة وهدوء؟
كان الاربعة والتفين حول الطاولة، وكان هناك دائما شخص يتوقف [illegible]
ويتعرف ثم انها لم تكتب له تلك الرسالة التي شجعته على المجيء. اقترب منه رجل وربت على كتفه قائلا:
- الآن ولقد علمت يا جانيك، فماذا ستفعل هنا؟
[illegible]:
- اول شيء سافعله هو تمضية بعض الوقت مع عائلتي، والتعرف [illegible]
تدخلت شيلا وقالت قائلة:
- من المؤسف انه دخل المدرسة الآن. ستكون لديك ساعات طويلة من الفراغ الممل كل نهار.
نظر جانيك الى العينين الجميلتين اللتين تحدقان به بكل تحرق وقال:
- [illegible]
فابتسم الرجل الى مغزى الحديث الباطن بينهما، ثم ضحك وقال:

- اتصور ان النساء جميلة [illegible] كثيرة [illegible] عيني وجدتها. أليس ذلك صحيحاً يا صديقة لاسي؟

[illegible] [illegible] عن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، وقالت للرجل ان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليها [illegible]:

- كم أتمنى لو ان زوجتي متفائلة مثل هذه الدرجة!

رد عليه جابك وعيناه تشعان خبثاً واستهزاء:

- لم اعتبر تانيا ابداً زوجة متسلطة.

- [illegible]، هل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]! [illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، حتى [illegible] باتريك [illegible] [illegible] وقال:

- [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

ثم مال برأسه نحو تانيا وسألها هامساً:

- هل يمكننا ان نلتقي؟

شعرت بأن قلبها غاص في مكانه وان الدماء تجمدت في عروقها. كانت شاردة الذهن لدرجة انها لم تتمكن من الاعتراض او الاحتجاج. هزت برأسها وقالت:

- نعم يا باتريك.

أنذ [illegible] الزوجين [illegible] وباتريك [illegible] [illegible] [illegible] الحفلة وبدأ الرحيل الجماعي لبقية الضيوف. وفيما كانت تانيا تودعهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، راحت نظراتها ترقب الباب باهتمام [illegible] [illegible] [illegible] جابك [illegible] [illegible] آخر الضيوف. وعندما ذهب الجميع، ابتسمت وتنهدت بارتياح [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وجولاً [illegible] في احاديث [illegible] مع جابك. لم لكن راغبة في [illegible] تلك اللحظات [illegible]. وفجأة جلست في مكانها وقالت:

- تصورت انك كنت تودع الضيوف.

لم ينظر اليها جابك، بل جلس على احد المقاعد الوثيرة وقال:

- تساءلت بعداً فيما كان الجميع سيأخذون احاديث غير عادية.

شعرت تانيا برغبة قوية لإثارة اعصابه، مستخدمة عزيمة راسلوبه معها:

- لماذا؟ هل كنت تفكر بوسيلة لاقالة [illegible]؟ لن يكون ذلك صعباً جداً: فهي تقضي فصل الصيف على مركب باتريك الذي يسافر [illegible] [illegible] [illegible]، انها [illegible] [illegible] [illegible] جداً!

نظر اليها بعينيه الفولاذيتين فأحست بنظراته تخترق عينيها ووجهها وقال لها بهدوء وتمهل:

- كنت متعباً ليس الا. انت تعرفين انني امضيت عدة [illegible] [illegible] في رحلتي من افريقيا الى الولايات المتحدة.

كان التعب [illegible] [illegible] على وجهه، ولكنها لم تتمكن من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يحمله في يده، وقالت باستهزاء:

- [illegible] كل ما تشربه هذه الايام؟ انك لم تعد كما كنت [illegible] [illegible] [illegible].

- [illegible] [illegible] [illegible]، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]. وبعد أقل من [illegible] [illegible] لي [illegible] في التاسعة

عشرة من عمرها طفلاً رضيعاً رضعته أمامي وقالت لي أنه ابني.
أحسست بأن معدتي تحولت الى نار متأججة تحرق قلبها وكبدها.
حاولت ان تبلع ما تبقى منه، ولكن بدت كأنها ترتجفان بشكل
[illegible]
الطويلة وعضلاته المشدودة القوية. لم تجب لمعنى ان القول:
ـ سألت نفسي مراراً ما يمكن ان تتذكريه انت عن تلك الليلة الغريبة!
ـ العقل اداة عجيبة ومعقدة، ينسى الاشياء ما عدا الذكريات المؤلمة والمريرة.

[illegible]

عن تلك الليلة وسألته بمرارة:
ـ هذا [illegible] كنت اعني لك شيئاً ما؟ هل كنت حقاً أكثر من مجرد لعبة تلهو بها لليلة واحدة؟
امسك كتفيها وهزها بقوة قائلاً:

ـ [illegible] أنا...
ـ كنت ستسافر غداً بمهمة في عطلة الاسبوع التالية... أو هكذا قلت لي! لم تكن تعني ذلك قطعاً! انا اعرف ذلك، كما تعرفه انت تماماً!
[illegible]
ـ كان علي ان اكون في مهمة سرية. لم أتمكن من التخلص منها.
ـ وكانت تلك المهمة عذراً مناسباً، أليس كذلك؟
هز رأسه بقوة بسبب السخرية اللاذعة التي حملها صوتها، وأنزل يديه عن كتفيها قائلاً:
ـ [illegible] بعد مرافقتك لم يعد هناك اي شيء آخر يهمني. كانت أنت، وجودك [illegible]
ـ هذا ما يمكنني تصديقه.
[illegible] تتعرين لي [illegible] بهذا الزواج كي أعرفك جزئياً عن تلك الليلة [illegible]
انها مجرد فكرة تصويرية [illegible] وأحسست بنفسه:
ـ ليس هذا صحيحاً على الاطلاق. لا اكن انوي ابداً إبلاغك [illegible] الوحيد الذي يمنعني عن إبلاغك بالامر...
صمتت قليلاً وتوقفت لحظة قبل ان تلم بملكها قائلة:
ـ أخبرتك بوجودي لأني اريدك ان تعلم وان تشعر ببعض الذنب والخجل اللذين كنت أشعر بهما. لم أكن اريد الا التخلص من القلق لتحمل الصفات الغريبة علي، ولكن أرحت لعقلي [illegible] والأمر لا [illegible] في النهاية كقاية

صغيرة وضيعة وحسة. لم تتطلع الى أبعد من ذلك. [illegible]
عن الزواج للاحتفاظ بجون! أنت تطلب المستحيل!

ـ أنت لا تعرفين ابداً [illegible] لا
[illegible] الطفل. أنا [illegible]
[illegible]
[illegible]
الى الوطن . . . مع أنك تظنين انني لن افعل ذلك.

هنا قربا منها، فتراجعت بسرعة الى الوراء. كانت عيناه تلمعان ببريق لا تفهمه ولكنه يثير أحاسيسها ومشاعرها. قالت له بعصبية:

ـ لن تتمكن من التوصل الى نتيجة إيجابية يا جيك.

قال لها بنفاد صبر غاضب:

ـ [illegible]
[illegible]
[illegible]
بدرجة تامة.

ثمّ تمنّت لو كان بإمكانها ان تجده [illegible]. كانت تنظر الى اتجاهات مختلفة كي تتفادى وجهه الوسيم الجذاب. وظهر الخوف في عينيها عندما نظرت اليه وسألته بحذر:

ـ ماذا تطلب مني يا جيك؟ أن أحبك؟

صدر عنه صوت ساخر يشبه الضحك قبل ان يجيبها

ـ أعلم انك ربما كنت تظنين ان الدماء التي تجري في عروقي حارة جدا بسبب الفترة الطويلة التي امضيتها في تلك البلاد الحارة. الجواب هو عكس ما تتصورين، فأنا لا أطلب منك مشاركتي سريري . . . مع ان ذلك قد يصبح النتيجة الحتمية في نهاية الأمر. ما أريدك ان تفعليه . . . أو بالأحرى ما أقترحه علينا معا . . . هو أن نعامل بعضنا كأصدقاء وليس كأعداء. لنحاول التعرف الى بعضنا على حقيقتنا، وليس بناء على ما يتصوره كل منا بالنسبة للآخر.

صحبها فترة تجريبية او هدنة لو ما شئت، ولكننا بحاجة [illegible]
[illegible].

ـ هذا طريف [illegible] الأصدقاء [illegible]
الطريقة المحتقرة التي عاملتني بها الليلة.

ـ [illegible] عندما فاجأتك مع رايتز؟

ـ للرجل اسم أول. انه باتريك!

ـ ربما انا مدين لك بالاعتذار عن الطريقة الفظة التي عاملتك بها. قد تكونين زوجتي بالاسم فقط، ولكني لا ازال اعتبرك لي. واعتقد ان [illegible]
كرجل. ومن المؤكد ان بروفات الرقصة لم تساعد قط في التخفيف من آلام الصدمة.

لاحظت ثانيا بسرعة ان جيك لم ينتظر تعليقا الا انه اعترف بذلك عن ذلك . . . وكان هذا بحد ذاته كافيا للتخفيف قليلا من حدة غضبها.

ـ حسنا! هل تقبلين بفترة تجريبية؟

ـ وماذا بشأن شيلا؟

ـ انها ليست في الصورة على الاطلاق.

ـ حقا؟ كنت تبدو سعيدا للغاية عندما شاهدتها الليلة. ومن [illegible]
[illegible]

ـ بالنسبة لشيلا، ثمة أوقات تمر في حياة الرجل يحتاج خلالها الى امرأة. انا اعلم ان هذا الكلام مثير لاشمئزازك، ولكن هذا كل ما ساقوله لك بصددها. الا ان اتفاقنا سيقتصر علينا نحن فقط.

ـ هل تقول انك لن تلتقي شيلا؟

ـ وهل تقولين انك لن تلتقي باتريك؟

ـ قلت لك انني لم أكن [illegible]!

ـ [illegible]

تذوق طعم النصر، وسوف يريد المزيد منه. ولكن ما لنا ولهذا الموضوع، ما يهمني هو انك لم تجيبي بعد اذا كنت موافقة على اقتراحي [illegible].

- وماذا سيحدث في نهاية الفترة التجريبية اذا كنت لا تزال [illegible]

- اذا شعرنا بعد شهرين او ثلاثة ان زواجنا لن ينجح بطريقة او اخرى، فسنبحث عن حلول بديلة.

- [illegible]

- إنه الحل المناسب.

وإن لم أوافق على ما تسميه حلاً، فماذا سيحدث؟

- سيحدث ان تستمر الأمور تماماً كما هي عليه الآن.

ظهر الغضب جلياً في عينيها، وتذكرت فجأة انه اعترف قبل ساعات بإقامة علاقة مع شيلا اثناء وجودها في افريقيا لم يزعجه على [illegible].

- انت لا تترك لي خياراً آخر، أليس كذلك؟

اجابها بنعومة قائلاً:

- هذا يعتمد على الطريقة التي تنظرين بها الى الموضوع. اعرضي هذه المسألة بعمق واعطيني جوابك خلال يومين او ثلاثة.

وتركها واقفة بمفردها وحدها، دون ان يودعها او يضيف كلمة اخرى الى جملته.

٤ – انتصار قبل المعركة

تنهدت تالي بانقباض دون ان تدري السبب. ويبدو ان انزعاجاً غريباً يلقي بظلاله على جمال الصباح وروعته. ولم تتذكر السبب الا [illegible] جوابك الى [illegible].

[illegible] المقابلة لن تتمكن بعد الآن من تجاهل وجود زوجها. واضح ان الأمر [illegible]. ثمة خوف، كيف تصفه او [illegible] ناجم عن الضاغطات التي يمكن ان تحملها عودته ومن الفكرة الرهيبة من انه سوف يكتشف قريباً السر الذي حافظت عليه حتى الآن بمنأى [illegible].

فتح الباب فجأة وشاهدت اباها يدخل منه بسرعة ويقول لها بلهفة:

- صحيح؟ هل ابي هنا حقاً؟ قالت لي جدتي انه هنا، فأين هو؟ اين هو الآن؟

[illegible] انها ارغمت نفسها على الابتسام عندما قالت له:

- نعم، انه هنا، وهو نائم في الغرفة الاخرى.

- سأذهب لأراه!

ارادت ان تمسك به فلم تتمكن. قامت من سريرها بسرعة صارخة:

- جون، انتظر!

ما ان وصلت الى باب غرفتها، حتى كان جون يفتح باب الغرفة الواقعة في نهاية الممر. ولما وصلت اليه، كان يقف داخل الغرفة بلا حراك وهو لا يزال ممسكاً بقبضة الباب. وضعت يديها على كتفيه لتسحبه بهدوء الى خارج الغرفة، وهي تهمس بحزم وقوة:

- لا توقظه الآن يا جون.

[illegible] الصغير امام باب الحمام الداخلي، يتأمل الصبي بذهول قاتل. ثم غمز الصبي باسماً وقال له:

- استيقظت صباحاً يا جون. انت جون، اليس كذلك؟

هز الصبي رأسه وهو لا يزال محدقاً بالرجل الذي يهيمن وجوده على كل شيء آخر. سأله جون بصوت يوحي بخوفه من احتمال سماع رد سلبي:

- هل انت ابي؟

اجابه جايك بكلمة وحيدة وبسيطة، ولكنه لم يتحرك نحو الصبي. واكتشفت دانيا انها تحبس انفاسها. تنفست بهدوء ثم رفعت يديها ببطء عن كتفي جون. كانت الغرفة صامتة وساكنة

الدرجة انه كان بالامكان سماع صوت رفرفة عصفور وهي تلامس النافذة. واخيراً، ترك جون الباب وتقدم ببطء نحو والده. توقف امامه ثم رفع رأسه نحو وجه ابيه وسأله بجدية:

- هل سأصبح طويل القامة مثلك عندما اكبر؟

علت وجه جايك ابتسامة حولت ملامحه القاسية الى نعومة وحنان لا يصدقان. ركع امام الصبي واجابه بجدية قائلاً:

- ربما ستصبح اطول مني.

خيم الصمت مرة اخرى، الا ان التوتر الذي كان سائداً قبل قليل زال واختفى. احست دانيا وهي تراقبهما معاً بانهما نسيا تماماً وجودها في الغرفة. [illegible] يتفحص بدقة وجه الرجل الغريب الذي هو والده، فيما كان الآخر راكعاً [illegible] ملامح [illegible]. وبعد لحظات صمت طويلة، سأله جايك:

- الا تتناول فطورك [illegible]؟

[illegible]

- [illegible] ان نضع صحناً آخر على الطاولة، سوف نتناول الفطور معاً.

[illegible] ركبتيه وقال له بلهجة جادة وحازمة:

- انا سعيد بعودتك الى البيت يا ابي.

[illegible] قالت:

- لن [illegible].

- لماذا؟

- لأن استقبال جون لك لم يكن صعباً تماماً. انا...

اتصور... انه لا يعرفك جيداً.

ـ وهل كنت تتوقعين منه ان يرمي نفسه عليّ؟ كنت سأشعر بخيبة امل لو فعل ذلك. انا غريب بالنسبة له، ولا اريده ان يتخلى عن [illegible] رغبة لمجرد الاعتقاد بانني والده. اريد ان احصل على حبه بجدارة، وعندها فقط اشعر بانها عملية آتية للغاية.

تنهدت تانيا ووضعت يدها على جبينها ثم قالت:

ـ اعتقد انك على حق في ذلك.

لم تتمكن من طرد ذلك الشعور الباطني بانها هي المسؤولة الاولى عن قيام هذا الشرخ الكبير في العلاقة بين الابن وابيه. لم تنتبه الى اقترابه منها الا عندما سمعته يقول:

ـ استعيد رشدك كثيراً يا تانيا كي يتمكن من معرفتي بصورة تامة.

تسارعت دقات قلبها عندما شعرت بقربه منها، فارتبكت ولم تعرف ماذا تفعل او تقول. وسمعته يسألها بهدوء:

ـ هل فكرت قليلاً بحديثنا امس؟ لا اتصور ان اسأل شيء بالنسبة جون ليس هنالك ودية بيننا

لم يتمكن جزء من عقلها من التركيز على ما قاله، لان قسماً كبيراً من احاسيسها كان مشدوداً كلية الى جاذبيته الساحرة وبرودة ظلية. ردت عليه همساً:

ـ لا يمكننا ابداً ان نصبح صديقين يا جاك.

ـ انا لم اقل قط انه بامكاننا ان نصبح صديقين. في الحقيقة انني اول من يعترف باستحالة ذلك من الناحية العملية. كل ما اريده هو ازالة هذا الجو العدائي القائم بيننا، والذي اوجدناه نحن بأيدينا.

شعرت بالعطر الى الرجل الواقف قربها، لان حضوره كان يثير فيها ثورة جامحة تضعف مقاومتها لاغراءاته الفاتنة. هزت رأسها وقالت بضعف:

ـ لا... لا ادري. في حقاً... لا ادري.

تواصلت ضربات عاصفة هوجاء تجتاح روحها الفريدة، ولم تكن مستعدة للنشوة الفاجئة في صوته والتي داعبتها برقة مثيرة. قال لها وهو يمسك بكتفيها:

ـ هل اطلب منك الكثير عندما اقترح عليك تعايشاً سلمياً؟

لم تتمكن تانيا الشفافة من صد النار الناعمة التي اشعلتها لمساته، ولم تتمكن احاسيسها من مكافحة تلك الرغبة الجامحة في الالتصاق به وبجسمه القوي المرصّن. اغمضت عينيها بقوة ورفعت يديها لتحمي نفسها من اي مضاعفات اخرى، ثم شهقت وقالت له بصوت يرتقب بعض تجنّبه لتجربة عواطفها الحالكة:

ـ لا تلمسني! لا يمكنني تحمل لمساتك!

فتحت عينيها لتشاهد ذراعيه الى جانبيه ونظرات الغضب تجعّد ملامح الالم في وجهه. كان يتفحصها من رأسها حتى اخمص قدميها، وينظر اليها باشمئزاز... وباحتقار للذات. وقال لها بغضب:

ـ تباً لي، كيف تزوجت فتاة انانية صغيرة وجاهدة مثلك؟ انك [illegible] سوى لعبة كبيرة من الثلج!

ـ [illegible]

احست بانه طعن كرامتها في الصميم، ولم تتمكن الا من تلقي [illegible] وجهه لرأت فيه مزيجاً من البرودة والاغراء، فرغمها بفترة صليها. قال لها بصوت ناعم حمل لها دعوة واضحة للاقتراب منه واثبات ما تدعيه:

ـ يجب عليك ان تقنعيني بالبرهان القاطع. اقرني الاقوال بالافعال.

اقتربت منه بذهول فيما كانت تشدها اليه قوة سحرية لا تقاوم. اسرتها نظراته الحالمة وراحت عليها الهيئة مع انه جميع افكارها

الأخير. كانت مصرّة بما فيه الكفاية هذه [illegible] شعرت بالحاجة إلى [illegible] وحنينه، وتسمرت نظراتها على [illegible] تحت أي [illegible] على حرمتها، ويتفجران في نفسها تلك الرغبات التي دفعت [illegible] واستهدت [illegible] الأمير. لن [illegible] أمام [illegible] رجال ومغازلتهم.

شعر بأنها على وشك التراجع، فطوقها بين ذراعيه وقال في [illegible]:

- لا تهربي الآن يا حبيبتي.

سمعا صوت أقدام تتقدم إلى الباب قبل أن يتوقف [illegible] أمام [illegible] على مصراعيه [illegible] مستغرقاً [illegible] ثم [illegible] قبل أن [illegible] ملاحظة:

- [illegible]... جلالتك... إن... إن الفطور... جاهز.

ابتسم جلالته وهو ينظر إلى [illegible] الصبي [illegible] اللذين كانا [illegible] عليه. [illegible] قائلاً:

- لا تقلقي، فحضور ابنك انتشلك من هذه الورطة.

ثم ابتعد [illegible] وقال لابنه:

- [illegible] خلال لحظات.

تردد الصبي [illegible] لأنه لم يعرف ما إذا كان عليه [illegible] فوراً أو انتظارها. [illegible] جالسة في مكانها. [illegible] لا [illegible] مع الصبي. [illegible] وجهها نحوه:

- كانت تلك غارة أولى يا ثانيا. ربما في المرة المقبلة...

- لن تتكرر هناك مرة مقبلة

[illegible] لا يتعلق كلامها. ثم تركها واستدار نحو الصبي قائلاً:

- هل أنت مستعد يا جون؟

- هل ستأتين معنا يا أمي؟

أجابته [illegible] دموع الصبي [illegible]

- أريد أولاً ارتداء ثيابي. اذهب يا حبيبي مع والدك.

شاهدها الصبي تمسح دمعة عن خدها، فأمسك بذراعها وسألها:

- هل أنت بخير يا أمي؟

- [illegible] أنا بخير.

[illegible] التي [illegible] قرب الباب [illegible] أمه:

- [illegible]

علمت ثانيا أن كلمة واحدة منها تكفي لجعل الصبي ينقلب على أبيه، ولكنها بكلمة واحدة [illegible] أن تقطع الخيط الضعيف الذي يربط بينهما. [illegible] من [illegible] كم من السهل الآن أن [illegible] لم [illegible] اللذين [illegible] ويخوفها على ابنه. [illegible] الصبي:

- إني أبكي... إني أبكي لأنني سعيدة يا جون، لأن والدك عاد أخيراً إلى البيت.

لم [illegible] عريضة لأنه لم يتمكن من [illegible] القلق والهزيمة في عينيها.

وقال [illegible]

- وأنا كذلك يا أمي، [illegible] كذلك.

- سوف [illegible] يا حبيبي. هيا أسرع قبل أن [illegible]

ركض الصبي وهو يلوح لوالدته بيده قائلاً:

- هيا يا أبي

الا أن جايك كان ينظر الى تانيا ويتأملها تفحصاً. فحصرتها الحكم العاقل لزكيها أملس، ولكنه لم يرغم رأسها للشيخ بعزة يعترفان على الاتجاه واحتقروه. ظل رافقنا لحظات طويلة قبل أن يدير ظهره ويلحق بالصبي. وتساءلت تانيا عما إذا كان تحرك هنا لصفه الفريق للتصير حتى قبل أن تبدأ المعركة. ولكنها قررت ألا تمنحه جميع غنائم الحرب، مهما كلفها ذلك من تضحيات وآلام..

مرت الأيام التي تلت عودة جايك بشكل روتيني ممل. ففي الصباح كان جرت يذهب الى المدرسة بينما يرافق جايك والده الى مقر الشركة أو يبقى في المنزل الذي على شاطئ البحيرة. إلا أنه كان يخصص ساعات ما بعد الظهر وحتى وقت مبكر من المساء لجرت. [illegible]

وظلت التفكير بالمضاعفات التي يحتمل حدوثها لو انها وافقت على قيام فترة تجريبية يتعرف خلالها كل منهما بصورة حقيقية على الآخر. لم تكن راغبة في قضاء أي وقت معه على انفراد أكثر مما هو ضروري... للمحافظة على تلك المظاهر الخارجية أمام ابنها ووالده.

ذهب جايك وجرت اليوم في رحلة بحرية تستغرق ساعات عدة. وتمكنت تانيا من الاعتذار عن مرافقتهما لأنها على ارتباط سابق للمساعدة في بيع بحوزتها في احدى المؤسسات الخيرية. وكانت كل مملة قد رفعت ثلاث ساعات من وقتها.

وصلت السيدة الأخرى التي ستحل محلها، فتطلعت تانيا حولها بحثاً عن والدة زوجها التي ستحضر لاعادتها الى المنزل. ولكنها شاهدت عوضاً عن ذلك رجلاً طويلاً أسود الشعر يقترب منها بسرعة. أحست بشيء من الندم والذنب لأنها لم تتذكر أبداً جاك [illegible] لجاريك رأيو. شعرت تانيا بذلك الاحساس الداخلي المألوف الذي كان يخنقها كلما كانت تراه في السابق. احست له بصورة غريزية وطبيعية تماماً:

- جايك، ماذا تفعل هنا؟

- كنت على وشك الانتهاء من اجتماع مع مايك حين خطر لي أنه [illegible] أنت جاهزة؟

[illegible]

... وأسلمت له بصدق:

- أشعر وكأن أكثر من أسبوع مر على آخر غداء بيننا.

ضحك ثم قال:

- لم أكن متأكداً من أن حضوري سيأتي مرحباً. أنا أعلم أن [illegible] غيرت أفكارك أيضاً.

شعرت تانيا بالانقباض والضيق، وبأنها غير راغبة في تقسيم الفترة الحرجة. ولكنها تمكنت من الرد عليه بلهجة عادية، تحققت فيها أنفى الأعمق للاحتفاظ، قالت بهدوء:

- أنت تعرف، أنه فيما يتعلق بي، فانك موضع ترحيب دائم.

ـ لماذا؟ بدأت بالفعل تبتعدين عني. كأنك أحس ببرودة في [illegible]. نظري [illegible] التي [illegible] فيها [illegible] [illegible] من اللوم. [illegible] بشيء [illegible] غامض.

أحست بعقلها ذنب مؤلمة لأنها جعلته يحقد ذلك. ولكنها في الحقيقة شعرت بالانجذاب اليه مع أنها كانت خائفة جداً من المفاجآت. صححت معلوماته بسرعة قائلة:

ـ [illegible] أخي... أخي أن [illegible] ذلك

[illegible]

بلطف وأمسكت بإصرار [illegible]

ـ يجب أن أفكر بأكثر من نفسي، يا [illegible].

ـ تعنين جوداً ولكن... لا يمكنك القول بأمانة أن جانبك كان ولداً حقيقياً للعبي.

ـ [illegible] في هذا الحق بقدر ما هو جانبك أيضاً.

تنهد [illegible] وقال

ـ يصعب علي تصديق ذلك. هل تؤمنين بالحب من أول نظرة؟

ـ لا.

أدهشها [illegible] [illegible] إلى أن تذكرت كيف أنها [illegible] [illegible] [illegible] وقال أن [illegible] أرهافها من الجولة والحب. وكررت مرتفعها بهدوء [illegible] قائلة:

ـ لا، لا أؤمن به.

ـ لا أؤمن به أي [illegible]. كنت لا أزال متزوجاً عندما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وجذابة. أردك [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بك أبداً إلى البيت ولم [illegible] انك قط أزوره. بدأت أشعر [illegible] من أنه ربما كان لك صديق أو حبيب. ولم تتمكن من [illegible] الـ

حتى [illegible] [illegible] ذلك الرجل. [illegible] [illegible] الخاطفة نظرات الوحدة المزعجة في عينيك. أنت تشعرين بالوحدة أليس كذلك؟ هذا الاكتفاء وهذه السيطرة ما هما إلا غطاء لاخفاء الوحدة الوحشة! صحيح؟

هزت رأسها بعنفوان لتثبت له أن الموضوع لا يهمها كثيراً، وقالت:

ـ أظن أن كل انسان يشعر بالوحدة بين الحين والآخر.

ـ [illegible] [illegible] [illegible]؟ [illegible] أعرف كل شيء عنك. هل كنت طفلة يتيمة؟

ردت عليه بنبرة [illegible]:

ـ [illegible] [illegible] [illegible] عندما [illegible] [illegible] [illegible] عمري. وكنت آنذاك أعيش بمفردي وأعول نفسي.

ـ أليس لديك أخوة أو أخوات؟

نظرت اليه بعيداً وقالت بصوت [illegible] من الحزن:

ـ كانت لدي أخت صغرى، توفيت من جراء نزلة صدرية بعد أشهر قليلة من فقدنا والدينا.

ـ ولكنك كنت في حوالي الخامسة عشرة عندما تزوجت جانك؟ لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]. هذا [illegible] يا [illegible]! [illegible] [illegible] [illegible] ألاحظ انك ارتكبت خطأ فادحاً. لا بعد لوات الاوان؟

كادت [illegible] الحنونة [illegible] تدفعها الى [illegible] قصتها بكافة تفاصيلها إلا أنها تمكنت من السيطرة على مشاعرها وقالت له:

ـ صحيح، هذا ما حدث لي على وجه التقريب.

ـ من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من أجل [illegible]، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] جانبك مرة بالعلاقة؟

- بحثا عن الاحتمال.

- [illegible]

- [illegible]

- ارجوك، لنتحدث في موضوع آخر.

تنهد باتريك وهو ينظر اليها بحنان، وقال لها بعطف:

- سأفعل ذلك بكل سرور، شرط ان تخبريني عن وضعي بالنسبة اليك.

غرق باتريك في تلك اللحظة من الطريق الرئيسي الى آخر فرعي يؤدي الى منزل لاميتي. ولكنه اوقف السيارة الى جانب الطريق، في مكان يشرف على بحيرة تايل ريك، وقال لها:

- انا بانتظار ردك يا تانيا.

- لا اعرف. لم اجد بعد الوقت الكافي للتفكير.

- انا رجل يا تانيا. لا يمكنني بعد ملامستك وتقبيلك ان اكتفي بمجرد النظر اليك من بعيد.

كان قريباً منها، وكانت يده الموضوعة على كتفها تديرها بجذبه نحوه. جاءت كلماته مطابقة تماما لما حلمت به مع جايلز، والتي وجدت آنذاك سخيفة ومثيرة للضحك. ولكنها عندما نظرت الى [illegible] صدره، لعلها في الجهد بعض السلوى والعزاء لمشاعرها المتناقضة المعذبة. ولكنه بدا لها ان افكارها المبعثرة والمعقدة ازدادت تعثراً وتعقيداً. احست بلمسه الناعمة على رأسها وشعرها وعينيها، الا انه لم يكن هناك اي وجه مقارنة مع ملاعبة جايلز ومغازلته اللاذعتين المحرقتين، وسمعته يتمتم قرب فمها...

- انا متعبة من ذلك المنعطف الذي يوصل... ولكنني اريدك يا تانيا.

تلوت عصبية بكلمة نفي واحدة، وما كانت قراءتها لعواطفها خلوة، ارادت الابتعاد عنه، ولكنها لم تتمكن. جمعت جميع مشاعرها

وعقلها في مقعدها، لانها احست بانها مفروضة على مشاعرها التي تعلم انها لا تريد ذلك فعلاً. ولكن علم تانيا بانه لم يجد عزيمة او رغبة في المتعة، تركها وعاد الى مكانه في السيارة، ثم نظر اليها بعينين تلمعان ببريق الرغبة والحب، وقال لها بصوت متهدج:

- ها قد عرفت الآن كيف اشعر نحوك. [illegible] وفقا للظروف الملائمة. افهم شعورك بالنسبة لاهلك، واحترم ذلك. [illegible] [illegible] عائلة لاميتي منحه جميع هذه الامور، بالاضافة الى الاسم المشهور والثروة. ولكن... [illegible] الاكبر والاقل [illegible] واعتقد انه سيعطيني اولاده [illegible] يعرفني اكثر مما يعرف جايلز.

حدقت به تانيا بذهول مدهش وهي لا تصدق انه فعلاً يطلب الزواج منها.

[illegible]

- هل تطلب مني ان اترك جايلز واتزوجك؟

[illegible] بجهه جمالاً ووسامة عندما قال:

- [illegible] وتكرار الطلب.

كانت تنظر الى عينيه خوفاً من الرضوخ لسحره الفتان، واعترفت بنبرة [illegible]

- ولكني لست متأكدة من انني احبك.

- انا امر [illegible] لا تفيد ابداً. ولكنك لا تعلمين حتى تعطيني فرصة [illegible] ارى مرة [illegible] مثل الآن. [illegible] [illegible] اود من ان [illegible] حتى ولو كان ذلك لنصف ساعة... او ساعة... او اي مدة يمكنك

ترتيبها. قولي انك ستفعلين ذلك يا حبيبتي.

- لا أدري متى...

أرقتها [illegible]

وشاهدت [illegible]

السهرة القريبة. أحست بانقباض شديد ولم تدر [illegible] عندما رأت شيلا جالسة قرب جاك، وعندما شاهدتها هنا مع باتريك. قال جاك [illegible]

- لست مضطرة لتوضيح أي شيء [illegible] أرتكب أي خطأ. [illegible]

- [illegible] الست.

نظر اليه باتريك بتحد وقال له بهدوء قاتل:

- انه فعلا منظر رائع.

- تعبت شيلا من انتظار عودتك، فتطوعت بأخذها الى البيت. [illegible] الوقت [illegible] ما.

ثم نظر بعينين قاسيتين الى تانيا وقال لها:

- يمكنك العودة معي الى البيت.

[illegible] بابها متظاهرة [illegible] مع جاك باحترامها، وقالت له:

- شكراً لأنك حضرت لايصالي الى المنزل.

ورغم ان [illegible] كانت [illegible] جاك [illegible] سيارة باتريك [illegible]

سيارته. نزلت شيلا باستياء صامت من سيارة جاك، وقالت له متباهية بغنج ودلال:

- كنت أظن [illegible] الى البيت، ولكني أعرف أنك تفضل [illegible] العودة الى [illegible] معاً الاثنان [illegible] اليوم. [illegible] هل من الممكن تكرار ذلك مستقبلاً؟

وجهت سؤالها الى جاك مصحوباً بابتسامة ساحرة، رد عليها بوعد جزئي قائلاً:

- ربما.

أحست تانيا بغضب عارم عندما شاهدت شيلا تعانق جاك، قبل أن تقفز فرحة الى سيارة شقيقها. مشى جاك بتمهل نحوها، [illegible] سيارة باتريك عن الانظار. تطلعت نحوه وسألته بحدة، قبل ان يدير محرك السيارة:

- هل ذهبت شيلا معكما اليوم؟

أجابها ببرودة مزعجة وعلى وجهه ابتسامة جارحة:

- نعم ذهبت معنا، مع أن مرافقتها لنا لم تكن مخططة سلفاً.

ردت عليه بسخرية لاذعة:

- من المؤكد أن جون [illegible] عكر اليوم [illegible] ومزاجك. [illegible] لأمر مؤسف حقاً أن تكون رحلته [illegible] معك

- شيلا هي التي لم تكن جزءاً من الخطة. [illegible] صدفة [illegible] توقفنا لتناول الطعام. كان الوقت الذي امضيناه معاً [illegible] مثل الدقائق القليلة التي امضيتها مع باتريك.

أبعدت وجهها عن نظراته الثاقبة، وهي تعلم أن الاحمرار في وجنتيها [illegible] عليها برزانة قاسية:

- لم يكن جون معك كحارس امين، [illegible] ان وجودكما معاً حتى لفترة قصيرة لم يكن بريئاً جداً كما تتصور.

- كانت الأهداف التي حفزتنا على الاجتماع أسمى من أهداف أية علاقة [illegible] مقبولة.
- أسمى؟ أرفضي ما تقولين وتعنين.
- طلب مني باتريك أن أتزوجه.
ظهر الغضب فجأة في وجه جايلز الشخصي، ولكنه سرعان ما اختفى وهو يقول لها دون اكتراث:
- يجب أن أرفع قبعتي احتراماً للرجل. لم أكن أظن أبداً أنه سيعترف عن هذه السرعة. وماذا كان جوابك على طلبه؟
- هذا شأني.
- وشأني أنا أيضاً يا سيدة لاسيتر. إن لم يكن شأني كزوجك، فمن المؤكد أنه شأني كوالد طفلنا.
- إذا كان لا بد لك من أن تعرف، فأنا لم أعطه جواباً!
- لماذا؟
- لأنه لم تكن لدي الرغبة [illegible] وصولك في وقت غير مناسب إطلاقاً.
تأمل جايلز [illegible] وأصر على معرفة الحقيقة:
- لو سنحت لك فرصة الرد على طلبه، فماذا كنت ستجيبين؟
لم تتمكن من الكذب عليه، مع أنها كانت راغبة في ذلك. وقالت بتحد:
- لا أعرف. أريد بعض الوقت للتفكير.
- [illegible] في موضوع الطلاق [illegible] بالرجل، وإلا لما [illegible] في وقت [illegible] لا [illegible] معرفتك [illegible] تعرفينه [illegible] ما تعرفينني.
- ولكني لا أعرفك حقيقة يا جايلز.
نظر إليها [illegible] بريقاً غاضباً وسألها بنعومة:
- وهل تريدين أن تعرفيني؟
جمدت في مكانها، خائفة من أن تقول له شيئاً آخر ستندم عليه

يقتصر ندمها على اعترافها السابق. استمدت [illegible] مسيطرة على أعصابها [illegible]
- لا، لا أريد ذلك. ما أعرفه عنك حتى الآن لا يشجعني على الإطلاق. [illegible] حاجة [illegible] كبيرة [illegible] قصيرة [illegible] منه.
- هل تعتبرين أن زواجنا قصة فاشلة؟
ردت عليه بعصبية واضحة:
- وكيف تصفه أنت عندما لا نتمكن حتى من وجودنا معاً في غرفة واحدة دون أن يسيطر علينا جو متوتر خانق؟
- هل هكذا تشعرين أنت؟
[illegible] الكلمات القاسية. [illegible] سؤالها، اكتفى بتحريك يده [illegible] قائلاً ببطء:
- ربما أنت على حق!

٥ ـ البحيرة الوديعة

خرجت ثانيا إلى الحديقة لتنعم بتلك الليلة القمرية الدافئة، بعد أن أخبرتها أنها قصة قصيرة ساعدتها على النوم بسرعة وسرور. [illegible] إلى [illegible] الأشجار [illegible] وكانت [illegible] قليلة [illegible].

وقفت قرب المكان الذي [illegible] مركب العائلة، وراحت تتأمل باعجاب انعكاس ضوء القمر على صفحة الماء. كان الجو دافئاً هادئاً ومشبعاً بالرطوبة. شعرت بالحر [illegible] ثيابها [illegible]

[illegible] قليلاً. خلعت ثيابها وتقدمت إلى الماء...

شعرت برعشة خفيفة في بداية الأمر، إلا أنها سرعان ما بدأت [illegible] فعادت أدراجها. نبهتها حاستها السادسة، أو ربما تحركات [illegible] إلى أنها [illegible] وراحت تنظر حولها بحثاً عن الشخص الدخيل. وصرخت [illegible]:

ـ من هناك؟

[illegible] أمامها قائلاً:

ـ لم أعرف أن هناك حوريات ناطقة في هذا العالم.

عرفت ثانيا، قبل أن تراه، أن صاحب هذا الصوت ليس إلا [illegible] تعلم أنها غير قادرة على ذلك بسبب التعب وبرودة الماء.

ـ أرجوك أن تذهب من هنا يا [illegible].

[illegible] وقال:

ـ [illegible] حورية، إنها فقط السيدة [illegible]

أجابته [illegible] حنقاً وبرد:

ـ [illegible]؟

ظل واقفاً يحدق بها، فيما كانت هي غارقة [illegible] عميقة [illegible].

ـ لو كنت ترغب [illegible] لن ترى في [illegible] الموجودة [illegible]

نزعت نبرة الرجاء التي غلبت على صوتها، ولكن أوصالها بدأت ترتجف وعرفت انها لن تتمكن من البقاء طويلاً في هذه الريح الباردة. حل جايلز نحو السلم وامسك بالسقيفة، ثم نظر الى زوجته وقال [illegible]

- اذا رميتها اليك، لن يكون لديك حتى داعٍ لتقفي تحتها.

رمت عليه بغضب، وهي تلعن الظروف التي جعلتها تتورط بها في تلك الحالة المزرية المقلقة:

- دعني أنا أقرر ما يتحتم علي القيام به.

هز كتفيه ورمى المنشفة على بعد امتار قليلة منها. فشعرت المنشفة [illegible] ووضع احدى قدميها على العارضة السفلى، كي تتمكن من الوصول [illegible] سهاماً حادة ومخالب ناتئة من عينيها الناعستين، وتركه اصر على كاحلها خطيرة وتهكم. أرادت أن تصرخ به، ولكنها علمت انه سيواجه صراخها بابتسامة ساخرة او ملاحظة خبيثة. لذا قررت [illegible] عنها اثناء صعودها السلم.

- يا للمراهقين والعجل! أتظنين انني لم أشاهد بنتاً كهذه من قبل؟

- ولكنك لم ترني أنا!

[illegible] بصوت هادئ:

- هذا تصريح غريب من أم ابني.

[illegible] خلفه، وقالت له بمرارة تمكنت من تفسيرها لتقدر الكثير من الاحتقار والشفقة.

- ألا تعلم ان بالامكان في كثير من الاحيان أن يحدث ذلك دون الاضطرار لخلع الملابس؟

- اللعنة عليك!

وفي اللحظة التالية كان يقف قربها ويغرز اصابعه في كتفيها. فزعت بعنف شديد قبل أن يسألها بعصبية بالغة:

- لماذا تصرين على تصوير ما حدث بأنه عملية قسرية؟

رفعت رأسها بحذر نحو عينيه الغاضبتين وهي مصممة على استفزازه الى ابعد درجة. كانت تعرف ان لسانها السليط هو السلاح الوحيد المتبقي لديها!

- لا يمكنك ان تتذكر الامر كذلك؟

غاب الغضب الحارق من عينيه وحل محله شعور كئيب وكبرياء جريح. أنزل يديه بسرعة وقال بذهول وهو ينظر اليها متهيباً:

- لا. لا، لا أذكر. ربما صاعقتي؟ لا يمكنني ان اتذكر شيئاً.

انحنت تلتقط ثيابها بعيداً عن نظراته الفاحصة، وظلت عيناها تتطلعان الى ظهره المستقيم العريض وكتفيه المتشنجين. احست بأنه يعصر لبها وهي تنظر الى وقفته الشامخة... الحزينة. سرت [illegible] بأنها لا يمكن ان تتركه هكذا... يحمل نقمة تلك الذكريات والذنب. نادته بصوت منخفض:

- جايلز.

استدار نحوها جزئياً، فقالت له بصوت هامس قبل أن تدخل المركب:

- لا، لم يكن ما حدث بيننا هكذا!

سمعت صوت أقدامه بمجرد اغلاقها الباب وراءها. وانتظرت لحظة تتساءل ما اذا كان جايلز سيلحق بها للحصول على المزيد من [illegible] الصغيرة. وما ان نزعت عنها المنشفة المبللة، حتى سمعت طرقة

خلفه على الباب وصوت جايك يقول لها بهدوء:

- تانيا استخدمي المنشفة الجاهزة الموجودة على المقعد الأمامي.

نظرت بسرعة الى المقعد وقالت له:

- وجدتها

جففت نفسها وارتدت ثيابها خلال لحظات معدودة، ثم توقفت [illegible]. كانت تعلم انه ينتظرها خلف الباب. [illegible] تحدث امور لن تتمكن من السيطرة عليها... وربما ندمت عليها مستقبلا. الا انه لم يكن امامها سبيل آخر غير البقاء داخل المركب طوال الليل.

وما ان فتحت الباب واغلقته وراءها حتى هب واقفا بسرعة ولطف. كان يجلس على مقعد خشبي على بعد بضعة امتار من باب المركب. حملقا يتفحصها فترة طويلة، قبل ان تحرر تانيا نفسها من اسر نظراته وتبدأ في السير نحو المنزل.

- تانيا، لا تذهبي الآن.

تراقص قلبها كفراشة على النار الخفيفة المخبوءة التي تشتعل في هذه الجملة. ولكنها قالت له:

- ارجوك يا جايك، لا أريد التحدث عن تلك الليلة.

- لا اريد منك شيئا سوى ان تعرفي انني اقدر صدقك وأمانتك. اعرف تماما انك لم تكوني مضطرة للاعتراف بأي دور لك تلك الليلة.

لم يكن ثمة مجال للشك في صحة الخلاصة، وكان سحره يفعل فعله في رأسها وعقلها وقلبها. لم تتمكن من معرفة السبب الذي دفعها لتجاهل شكره والتخفيف من عذاب ضميره. انه بالتأكيد شعور داخلي هو الذي ارغمها على ذلك. وسمعته يضيف قائلا:

- كما اني لم اشكرك بعد على علاج مهاجمتي امام ليزا. شكرا لك

غيرك كي استخدمني انقضى لانتقام مني.

- لا [illegible]

- [illegible] السابقة. من المؤكد انه كان لذلك والدك منطقيا، اعني من صميم الذي لو انه كان بامكاني التعرف اليها.

ولكن تانيا كانت تعلم انه لو ظل والدها على قيد الحياة، لما كانت تقبل ابدا الزواج من جايك... لما كانت لتصل ابدا الى ذلك الارهاق الجسدي والمعنوي من جراء محاولتها اعالة طفل رضيع والاهتمام به بمفردها. لو بقي والدها على قيد الحياة، لكانا عملا معا [illegible] جايك ابدا ان له ابنا.

ارتعش جسمها بسبب هذه الافكار، فقال لها بسرعة:

- لا شك انك تشعرين بالبرد.

وقبل ان تتمكن من الاحتجاج والاعتراض، خلع سترته ووضعها على كتفيها. شعرت على الفور بحرارة جسمه ورائحة بشرته وعطر كولونيته. وما ان اقترب منها كي يزرر السترة حتى احست [illegible] من ان يطوقها بذراعيه ويضمها الى صدره.

اخذت اصابعه تداعب شعرها برقة ونعومة، ثم توقفت يداه على عنقها وراحتا تتنقلان ببطء مثير. امسك بذقنها ورفع وجهها نحوه بهدوء وحنان. نظرت اليه تانيا بعينين شبه مطبقتين، وتسارعت ضربات قلبها عندما شاهدت عينيه تركزان بشغف على شفتيها. سمعته يتمتم وهو يضمها اليه بقوة:

- انت جميلة يا تانيا. لا تقاوميني يا حبيبتي.

استسلمت لعناقه الحميم وتأرجحت... اجراس تقرع [illegible] صدره القوي، ورفعت يديها لتطوق عنقه بشغف [illegible]. وشدها كثيرا اليه

حتى كادت ان تصبح جزءاً منه. رقت السترة منها، فلم تشعر [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] طريقاً. خافت من النتيجة الحتمية لتلك اللامبالاة الضعيفة، فحاولت وضع يديها على صدره لإبعاده عنها قليلاً.

طوّقها بقوة اكبر، منتصراً على اعتراضها الضعيف بحبيبه المتطرف القوي. فعادت يداها الرخصتان تداعبان وجهه وجبينه وعنقه. ووضع رأسها على صدره شدّة على تلك الحالة [illegible] [illegible] [illegible] امسك بذراعيها وأبعدها عنه قليلاً فيما ظلت يداها ممسكتين بخصره. قال لها:

- انظري الي يا دنيا.

رفعت رأسها نحوه مرتعشة، لانها تعرف ان رغبتها القوية تجاهه لا تزال ساطعة بوضوح في عينيها. ولكنها أطاعته ونظرت الى ذلك اللهيب الازرق الذي يشتعل في عينيه. بدا عليه الارتياح عندما شاهد وجود الفعل الذي أثاره فيها، وسألها مازحاً:

- هل هذا هو سبب التيارات الكهربائية التي تولد بيننا؟

ابتسم عندما شاهد احمرار وجنتيها، وعاد يسألها:

- هل ما زلت تعتقدين ان زواجنا لغيرة مشكلة لا قيمة لها؟

شعرت دنيا في هذه اللحظة بالذات، واكثر من اي وقت مضى، انها تريد من زواجهما ان يكون حقيقياً ومكتملاً. ولكنها احست بان ذلك لن يكون ممكناً، فانهمرت الدموع من عينيها وقالت له بصوت [illegible]:

- انه الامر مستحيل، يا جوليان.

احست بأن عضلات جسده تتقلص كقطعة كبيرة من الجليد. ربما

جملتها القصيرة كانت كخنجر طعنه في قلبه.

- مستحيل؟

قالها بغضب عارم، فيما كانت يداه تضغطان بقوة على ذراعيها وتهزان جسمها بعنف وراء. وعاد يسألها باستغراب:

- مستحيل؟ ماذا تعنين بذلك؟

اجابته بصوت متهدج ضعيف:

- لا يمكن ان ننجح. ثمة امور كثيرة لا تعرفها عني.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لدى سماعه جملتها الاخيرة. فسارعت الى تغطيتها بالقول:

- كذلك فان هناك اموراً كثيرة لا اعرفها عنك.

عادت اليه خطورة رعزة نفسه، فقال:

- لا يمكنني ان أقبل هذا التبرير.

- اوه، ارجوك. ألا يمكنك ان تترك الامور كما كانت؟

- لا، لأن [illegible] [illegible] الى الوراء.

شعرت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] المرزها [illegible] وسمعته يقول بعد لحظات

- كان علي ان اتعلم الآن، وان احمل رفضك امراً لا رجوع عنه.

- لا! لا!

وتحركت خائفة الى الوراء، مذعورة من انه لم يقرر ذلك في اي لحظة. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وقال:

- انت بنفسك لن تجرؤ بحاجة لأب، كذلك هو بحاجة الى أم. لا يمكنك ان تتوقعي مني ان اتصرف كوالد طبيعي بقوة حيث، وابقى في الوقت ذاته غريبين عن بعضنا.

هزت كتفيها كمن فقد أمله، وقالت:

- كلا لا أتوقع ذلك.
- وماذا تتوقعين إذن؟ لا، لا تجيبي على هذا السؤال. أنا أعرف ماذا تتوقعين. ربما ستطلبين مني العودة إلى أفريقيا.
ابتسمت لأنها رغما عنها بسبب [illegible] فعلا، وقالت بصوت ناعم:
- قد أطلب منك الذهاب هذه المرة إلى [illegible] القطبية.
[illegible] إلى وجهه بسرعة وقال لها:
- [illegible] جون اليوم أنه كان بإمكانك مرافقتنا بعض الوقت كما تفعل جيلا. ليس دائماً، ولكن بين الحين والآخر.
توقف لحظة لم ينتظر خلالها جواباً أو تعليقاً ثم مضى إلى القول:
- أننا بحاجة لبعض الوقت كي يتمكن كل منا من معرفة الآخر بطريقة صحيحة. [illegible] لك ذلك في الليلة الأولى لعودتي. ولهذا السبب أيضاً [illegible] كنت [illegible] في [illegible] أي وقت [illegible] الطائرة. لمن تلك [illegible] أفضل من [illegible] في السابعة من عمره؟
- أوه جايك. لا أعلم. إني حقاً لا أعلم.
أرادت أن توافق، إذ لم يكن لأي سبب [illegible] فمعرفة ما إذا كانت العلاقة بينهما أكثر من مجرد نزوات متقطعة ومتعجلة. ولكن... لو كانت كذلك، فماذا ستجني؟ أدارت وجهها عنه بتجاهل وبدأت تسير بعيدا نحو البيت.
- [illegible] لا [illegible]
[illegible]
[illegible]
الزواج... لو حاولت.
[illegible]

[illegible] عندما [illegible] يده على كتفها وأدارها [illegible]. أمسك ذقنها ورفع وجهها نحوه قائلاً:
- أنا أطلب أن [illegible] ولكننا يجب أن نحاول. لا أعرف كيف [illegible] في هذا الموضوع في بادئ الأمر. ولكني [illegible] رجل [illegible] حقاً ويجب أن [illegible] هذا الزواج أمر مستحيل. أنا لست مقتنعا حتى الآن بصحة ذلك.
كانت تقول لنفسها منذ سنوات عدة إنها تكرهه. وكم من مرة قالت لها [illegible] جداً [illegible] والقرابة [illegible] طوال هذه السنوات أنها تكرهه، في حين أنها كانت في الحقيقة تحبه. [illegible] وحاولت إيجاد الشجاعة الكافية للرد عليه، ولكنها لم تتمكن من ذلك. [illegible] من صمتها [illegible] وقال:
- إذا كنت خائفة من أني [illegible]، فسوف أتعهد لك منذ الآن بأني لن ألمسك.
- ليس هذا هو الأمر. أنا لا أعترض، مع أني... مع أني...
- [illegible] بالتحديد أكثر من ذلك.
[illegible] على [illegible] أو حتى الكلام. فسألها:
- هل توافقين على الأقل على أن نحاول التعرف حقيقة على بعضنا؟
[illegible] بكلمة واحدة فقط [illegible] من الطمأنينة والسكينة تخيم على [illegible]
- هذا يدعو [illegible] بالعناق، أليس كذلك؟
منحها [illegible] وقتاً كافياً [illegible] الموافقة. [illegible]

جسمها كله بعد ذلك العناق ولكن الى من ستعلن نبأها؟ ماذا لو لقيت نظرة نصيرة بالغة دون تصريح، بأحست بهبوب نسيم يلامس جسمها ويغمر مشاعرها. ارتعشت رعشة، فالتقطت السترة من الأرض ووضعتها على كتفيها. هل تحسد اماها فهم تلك الحركة ومغزاها؟!

- هل أنت على استعداد للعودة الى المنزل؟

هزت رأسها موافقة، لأنها تعلم أن وجودها معه هنا على انفراد ليس الا لعباً بالنار. أحست بسعادة كبيرة عندما طوق كتفيها بذراعه وأخذها ملتصقة به. عرفت نظرة سروره في وجهه، ملاحظة ابتسامة سرور واكتفاء... وربما انتصار. وتساءلت عما إذا كانت ستعترف بحبها مرة أخرى! وسمعته يقول لها: وكأنه قرأ أفكارها:

- لن تندمي على قرارك أبداً. من المحتمل جداً أن تجد نفسك الى شخص [illegible]

[illegible]

[illegible]

... عن ذلك ...

- لن أجد في هذه الحالة ... صعوبة في الانطلاق مع زوجة صغيرة طبعاً.

- المشكلة التي تسبب قلقها.

- وانا لا أريد مجرد نزهة وهمية.

ظهر والدها امامهما بصورة مفاجئة، لعينه جيليك بهدوء وكان وضع ذراعه حول جسم زوجته أمر طبيعي للغاية. وجه جاي نحو نظرة استغراب سريعة نحو ابنتها، ثم قال وهو يبتسم بسرور حقيقي:

- أين كنتما...؟ ليس كذلك؟

- كنا بنزهة قصيرة على شاطئ البحيرة.

لم تشعر تلبها بأنها قادرة على الخوض في تفاصيل مستغربة من القلق والطبيعة، فخلعت سترة جيليك عن كتفيها قائلة:

- الطريق أقصر... بقليل من التعب، واعتقد أن علي الذهاب الى النوم.

أحست بشيء دافئ وجميل للغاية في نظرات جيليك، عندما ألقى لها متمنياً ليلة سعيدة وهانئة. وشعرت بأن تلك النظرات تمدها الراحة والسكينة الى قلبها المعذب..

www.liilas.com

٦ - الحلم المستحيل

مر الأسبوع الأول في فترة الهدنة المتفق عليها بينهما بصورة هادئة
هادئة، وكأنه ليس بينهما اتفاق جديد بالغ الأهمية. ظنت دانا في
بادىء الأمر انه ربما كان يمنحها فرصة للتراجع. ولكن ذلك من
[illegible]
عن كلامه او عمله.

خرجت معه مرة لفترة قصيرة. ذهبا وجورج بعد انتهاء دوامه
المدرسي، في رحلة لصيد السمك. كان الصبي سعيداً للغاية لوجود
والده معه، فأخجل دانا تشعر بالذنب لعدم مرافقتها قبلاً. امتنع
جيلبرت حتى عن النظر اليها مؤنباً ومعاتباً، واقتصرت النظرات التي
[illegible]

وفرحه،

مضت دانا بعجل وخفة على الطريق الخاصة التي تصل المنزل
[illegible]
[illegible]
الى مكاتب الشركة في [illegible]. كان يلعب احياناً برفقة والده
[illegible]
ترقب فيه بشوق ساعة عودته الى البيت.

فتحت علبة البريد الموجودة في نهاية الطريق وراحت تتفحص
محتوياتها، وفجأة برز اسمها واضحاً على احد الظروف. لم يكن
[illegible]
دانا لاسيتر، وكانت تعلم وهي تفتحه ان الرسالة في داخله ليست
الا من باتريك رايتز. حاولت مرات عديدة في الايام القليلة الماضية
ان تسطر له رسالة توضيحية، ولكنها لم تجد في كل مرة سوى كلمات
[illegible]
عقابه شهر الاربعاء في مطعم [illegible] ثري واضاف انه ان لم
يجدها هناك، سوف يعرف انها لم تتمكن من مغادرة البيت. وكانت
رسالة [illegible] مولعة بنصه الأول فقط.

وضعت دانا رسالته في جيب مريولها البرتقالي، فيما كانت تقاوم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] تبدأ حقبة قاسية ضدها.

لن يكون لديها غداً الاربعاء الوقت الكافي كي تقرر ما اذا كان
[illegible]
[illegible]
[illegible]

إنها تشعر عادة بالحرق في معدتها، وبالتالي فإنها لن تتمكن [illegible] [illegible] تتكشف لأحد المنظف الحقيقي لذهابها... وبصراحة حالياً. [illegible] تصدق انه سيتفهم الوضع على حقيقته وعندما اعلنت في أثناء [illegible] [illegible] طبيعية. ولكنها لم تنجح بالسهولة التي كانت تتوقعها، لأن جاك اقترح عليها تناول الغداء معه.

احمرّ وجهها بسرعة كيلا تفضح نفسها، [illegible] الأعذار التي [illegible] الانسحاب بشرعة. قالت له بأسى:

- [illegible]

هزت تانيا رأسها وابتسمت بارتياح، قائلة:

- مرة أخرى.

هل جعلت رفضها وعدم رغبتها في تناول الغداء معه يشعر بوجود حاجز امر يمسه باتريك؟ لا، لا يمكن ذلك. سيضع اللوم على ترددها في مقابلته على انفراد. اراد جزء منها ان يؤكد له عكس ذلك، وان يشرح له بالتفصيل اسباب الغداء مع باتريك. ولكن [illegible] للانصياع من حقيقة نواياها.

حجبت الغيوم السوداء شمس اليوم الدافئ، وكان الرعد يرعد مهدداً متوعداً. هطل المطر بغزارة ثم عاد الى وضعه السابق، خفيفاً [illegible] تحركاته. الجو حزين وهي حزينة اكثر. كانت ترتجف في مشيتها [illegible]

[illegible] طبيعي في [illegible].

وضعت المظلة بشكل قريب جداً من رأسها، كي تخفي وجهها وهي متوجهة بسرعة الى المطعم، ولم تشعر بشيء من الأمان الا عندما أصبحت في داخله. كان الوقت آنذاك تمام الثانية عشرة ظهراً. [illegible]

- هل انت بمفردك يا سيدتي؟

- لا، سأكون مع السيد باتريك زايتز. هل تعلمون ان كان قد وصل ام لا؟

- السيد زايتز، نعم، طبعاً. تفضلي معي، يا سيدتي.

ابتسمت تانيا، وهي تتبع النادلة نحو نهاية الغرفة الطويلة الضيقة، سبب اختيار باتريك لهذا المطعم بالذات. انه مجاز لكي يرغب الانفراد بأحد بعيداً عن عيون المتطفلين ومسامعهم. وكانت [illegible] متمتماً:

- لم أكن اظن انك ستأتين.

لم تتمكن تانيا من النظر الى عينيه اللتين كانتا تلمعان لطفاً [illegible]

لم ينبعث اي منهما إلا بعد ان احضرت النادلة فنجاني القهوة والمرطبات. اعتذر باتريك قائلاً:

- آسف لأنك تشعرين بكل هذا الانزعاج والارتباك يا تانيا

حتى لو كانت ثمة طريقة اخرى تمكننا من اللقاء بارتياح.

هزت كتفيها بعصبية وقالت:

- لا يهم كثيراً اين وكيف نلتقي هذه المرة. لم احضر الى هنا الا لأقول لك ان هذا هو اللقاء الأول والأخير بيننا.

لم يصدق ما سمعته اذناه. فسألها بذهول:

- ماذا تقولين؟

- آسفة يا باتريك. ولكنني لن اتمكن ابداً بعد الآن من مقابلتك على هذا النحو.

- لماذا؟ لماذا يا دانيا؟

- حاولت ان اكتب لك رسالة اشرح فيها اسبابي ودوافعي، ولكني [illegible] مقابلتك اليوم كي اشرح لك... اني اتفقت وجايلز على محاولة القيام بجهد لانجاح زواجنا.

ظهر الغضب جلياً في وجهه وعينيه وقال لها، وهو يحاول بصعوبة بالغة السيطرة على اعصابه:

- [illegible] بعد سبع سنوات من الانفصال يجعل ذلك الزواج حقيقة ثابتة؟

صمتت مطولاً بحذر، مع انها تقدت [illegible]

[illegible]

- اذا كنت تشعرين بالتشاؤم الى هذه الدرجة، فلماذا ازعجت نفسك بقبول اقتراحه؟

[illegible] من لقاء ذلك طويلاً. وعندما ستكتشف انها [illegible] تلك [illegible]

الاشهر القليلة. [illegible]

وهل ستكون قادرا على ذلك وهي تعلم بمدى الاحترام الذي سيشعر به جايلز تجاهها؟ تنهدت وقالت باتريك:

- والفضل لأن جايلز اوحى لي صراحة باننا اذا انفصلنا بعد فترة تجريبية لا تزيد على بضعة اشهر ان زواجنا لا يمكن ان ينجح، فالطلاق سيكون البديل البديهي.

خفف تفسيرها من حدة غضبه الى درجة ملحوظة، وسألها:

- الم يرد لي ذكر للطلاق في فترة سابقة؟

- لا، بسبب جون. اعتقد ان جايلز اكتشف بنفسه منذ عودته الى البيت انني لم اتخلف عنه بسبب الى الصبي، او انني حاولت ابعاد جون عن ابيه. واتصور ان جايلز لن يشعر بعد الآن ان الطلاق سيحول نفسه عقبة ابداً ايه رغبته.

اعترضت هذه الفكرة قلب دانيا كثيراً، ولكنها مضت الى القول:

- يشعر أنه لا يمكن ان يحطم [illegible] بالروابط العائلية. ولكن [illegible] او راغبة بالتخلي عن جون.

ابتسم باتريك باعتذار وقال:

- [illegible] الآن ان افهم بسهولة سبب موافقتك على اقتراحه. ولكن... ماذا بشأني انا؟

كانت تعلم ان هذا السؤال لا بد من ان يطرح في نهاية الأمر، [illegible] لا تطلبه بالاعتذار. تطلعت اليه بطريقة تشعره بمدى تصميمها وثبات قرارها، وقالت:

- يجب الا اراك بعد الآن، يا باتريك.

- هل تعتقدين حقاً ان جايلز سيمتنع عن مقابلة شخص؟

صعقت ثانياً لسماعها ذلك السؤال. لم تكن تعرف فعلاً ما اذا

قد حانت مقابل سخلة ام لا، فمستطرد تلك قرية الى انجبست لديا
ابه في وقت الضحية ام حين. الشخص مفرحه هو شخص طلالها
ان يعرف اكثر من تانيا عن تحركاتها. اجابته بهدوء وهي تستغرب
به لعدم الانفعال عن السؤال:

- لا ادري ما اذا كان [illegible] ام لا. كما ان هذا الامر لا يؤثر ابداً على قراري بالامتناع نهائياً عن مقابلتك انت.

- هل هناك من سبب يحملني على الانتظار؟

- كلا. وانا لا اطالبك بذلك.

رد عليها بكثير من المرارة والأسى

- هذا يوضح كل شيء بعد [illegible]؟

- آسفة يا باتريك. انني حقا اسفة. انا اعرف مدى اعجابك بي...

- اعجابي بك؟ يا لها من كلمة اسمع!

شاهد النظرة الملتبسة التي ظهرت بجلاء في عينيها، فابعد وجهه عنها وقد [illegible] ساخراً بهدوء لا يصدق:

- هل ابلغت جانيك بانك آتية الى هنا؟

ردت عليه بصوت خائف متهدج:

- لا، طبعاً لا!

- لقد دخل الآن لتوه.

حاولت النظر نحو مدخل المطعم، فهمس باتريك بحدة:

- لا! لا تنظري حولك!

احست بانها تكاد تجن، وسألته بصوت مختنق:

- هل تمزح؟

- لا، لا اعتقد ذلك. لقد [illegible] الرجل [illegible] طلبا لتوهما وظهر جانيك الينا.

ثم ابتسم بسخرية قائلاً:

- اتصور انك لا تريدينه ان يعرف باجتماعنا هذا!

- طبعاً لا. ماذا ستفعل الآن؟

- لا يمكننا ان نغادر هذا المكان حتى لا يرانا. وبالتالي، فاني اقترح بالخلاص ان نتناول طعام الغداء.

لم تأكل تانيا معظم الوجبة الشهية التي طلبها لها باتريك. كانا جالسين بصمت، اذ لم يعد ثمة شيء [illegible] يتحدثان فيه... كما ان الوقت لم يكن مناسباً للبحث في امور اخرى كالطقس والسيارات وغير ذلك من الموضوعات العادية.

- اعتقد انهما سيغادران. ها هما يقفان ويتجهان الآن نحو الباب. [illegible] عشر دقائق اخرى للتأكد من ذهابهما تماماً.

شعرت تانيا [illegible] ظلت صامتة نحو دقائق [illegible] قبل ان تتجه وباتريك الى مدخل المطعم. [illegible]

- ربما كان من الافضل ان نغادر المطعم كل على حدة.

هزت رأسها بالموافقة، ومدت يدها بتردد لمصافحته وهي تقول:

- آسفة يا باتريك، لأن الامور تطورت على هذا النحو.

- انا آسف اكثر منك بكثير. حظاً سعيداً يا تانيا. واعتقد انك ستكونين بحاجة الى ذلك.

[illegible] توقف قبل ان تخرج [illegible] وتتوجه نحو سيارتها. وما ان اقتربت قليلاً حتى [illegible] القوة. لم يكن امامها مجال للهرب. انطلقت السيارة نحوها بسرعة وتوقفت بعنف على بعد خطوة منها. نزل جانيك بعصبية واستدار حولها [illegible] الامامي [illegible] القاسية في عينيه. [illegible] الخروج او الابتعاد [illegible]

- في اي فندق تريدين مقابلته؟

شعرت بوطأة الاهانة الجارحة، لصفعته [illegible]

عندما تلمس الجرح في جبينه حتى، عندما أحست بخفقها يعلو بعنف شديد. حدّقت عبر النوافذ ورأت مدى الانفعال الذي اقترفته في نفسه، الا أن غضبه لم يخفف من شعور الاذلال الذي أحس نتيجة لاتهامه الكاذب. دفعها بقوة الى السيارة، ثم جلس وراء المقود وقادها بسرعة جنونية.

علمت انه سيذهب بها الى البيت، وكانت تعيسة لدرجة انها لم [illegible] نظرت الى وجهه المتحجر القاسي ولاحظت الرعشة.

اوقف السيارة امام الباب، فقفزت منها بسرعة وتوجهت نحو البيت. كانت تأمل في الوصول الى غرفتها قبل انهيار سيطرتها على [illegible] لا امسكها بعنف وساقها بلهجة قاسية:

- الى اين تظنين انك ذاهبة؟

اجابته بمرارة بالغة، وهي على ثقة بأن تضيف كلماتها ملحاً حارقة الى جروحه:

- للاتصال ببيتر؟ طبعاً، كيلا يقلق عندما لا يجدني في الفندق! [illegible]

- اريد ان ادق عنقك الحلو يا [illegible]

[illegible]

- معلوماتك الخاصة يا سيد لامبرت، لم تكن اعلم المستقبل اي شخص على الاطلاق. اتصلت بتريك لابلاغه باني لن اقابله بعد الآن. ولا اتوقع لك بأني لا ابالي ابداً اذا كنت ستصدقني ام لا. لا يمكنني ان احمل لتقلب مزاجك علي. اذا لم يكن كلامك هذا صحيحاً، فسوف تعرف الحقيقة في نهاية الأمر.

فتحت عينيها عندما اصبح عنقها طليقاً من قبضته القاسية، وقالت [illegible]:

- هذه هي الحقيقة يا جايك. تصورت ان من الانصاف فقط ابلاغه عن اتفاقنا هي...

اجهشت بالبكاء وانحبست بقية الكلمات في حلقها، احنت رأسها وراحت تخفف الجرح الذي انحفر على وجنتيها. وضحك جايك بانزعاج وهو يقول لها:

- [illegible] لزاوية اللعينة من المطعم، ادركت ان هذا الشاب كان سبب عنادك [illegible] عندما دعوتك الى تناول الغداء معي. شعرت باني سأفرح كثيراً لو ضربتكما معاً. انتظر [illegible] ان يخرج [illegible] وجودكما معاً في الغداء عندي، وتعاملك باستخفاف للاتفاقية التي توصلنا اليها لتونا.

نظرت اليه بتضرع وقالت بصوت لا يزال ضعيفاً ومتهدجاً:

- لم يكن الامر كذلك على الاطلاق.

مد يديه نحوها على كليهما ان تلامسا كتفيها، الا انه اعادهما الى [illegible] لذلك عندما امسك باحدى يديها برقة وبصوت خافت:

- عرفت ذلك الآن. إني ادين لك بالاعتذار، ومع ذلك [illegible] تبريرك لما حدث.

ناهضت تانيا بقوة لأنه نجاحاً بكلامه هذا الذي لم تكن تتوقعه. سألته بتحد:

- هل تخدعني؟

ابتسم متحايلاً [illegible].

- نعم، أصدقك.

أرادت أن تلقي بنفسها بين ذراعيه وأن تقول [illegible] حتى يذوب [illegible] لتسويان. بللت شفتيها بلسانها، وهي تدرك أنه لاحظ ذلك بسرور. ثم قالت له بهدوء وارتياح:

- شكراً لأنك صدقتني. كان [illegible] على ما كنت أنوي القيام به.

- لم نصل بعد إلى المرحلة التي يثق فيها الواحد منا بالآخر. إلا أنه [illegible] عن الآخر.

- ماذا تعني؟

- [illegible] تماماً.

كانت ملامحه تتسم بالهدوء والحنان [illegible] عندما مضى إلى القول:

- كذلك علمت أنا أنك لا تخدعين. أنا سعيد لأنك إنسانة صادقة وامرأة، لأني لست من صنف الرجال الذين يسمحون بخداعهم.

- أعتقد أني كنت أعرف ذلك.

وأدارت وجهها ثانية نحو [illegible] إلا أنه قال لها بصوت منخفض:

- [illegible]

أرغمت نفسها على توجيه ابتسامة خفيفة له وتابعت سيرها. وكانت تظن أنه سيلحق بها [illegible] حين سمعت صوت المحرك وشاهدته ينطلق بالسيارة نحو المدينة.

عاد جابك ووالده فيما كانت تانيا تعد طاولة العشاء. خرجت [illegible] علانية لاستقباله والترحيب به وبوالده، إلا أنها اكتفت بالبقاء في غرفة الطعام [illegible] سمعت جوليا تسأل جابك بصوتها المرح عما يحمله بيده، وتبع ذلك سؤال [illegible] من جون.

- إنها هدية. أين والدتك؟

- لا أعرف.

- إنها تعد المائدة يا عمي.

وسمعت تانيا صوت أوراق تتمزق وجون يقول:

- إنها جميلة يا أبي.

ثم سمعت صوت أقدام [illegible] تقترب من غرفة الطعام. [illegible] وراحت تعبث بالملاعق والشوك الفضية الموضوعة بعناية قرب الصحون الخزفية الثمينة.

- تبدو لي الطاولة جميلة جداً ولا تستدعي المزيد من الاهتمام.

بدأت تانيا ترد كلمات الترحيب المعتادة، وهي تستدير نحوه بهدوء [illegible]:

- مرحباً يا جابك. [illegible] سيكون العشاء جاهزاً خلال فترة وجيزة.

تحولت [illegible] من الورود [illegible] بيديه. ابتسم [illegible] قائلاً:

- هذه الورود لك، أين أضعها؟

اخذت تانيا الباقة بيدين مرتجفتين ولامستها بأنفها، كي تشم ما يفوح من عطر رقيق... وتتأكد من انها حقيقية.

- هل تعجبك هذه الورود؟

- انها... انها رائعة. ولكن لم تكن بحاجة لازعاج...

قاطعها بصوت دافئ حنون، قائلاً:

- احببت ان احضر لك باقة من الورود.

حزرت تانيا الآن الورود كانت هدية اعتذار عن تصرفه الغاضب، وسألته بهدوء:

- هل احضرتها بسبب ما حدث بعد ظهر اليوم؟

ابتسم بطريقة مداعبة جعلت دقات قلبها تتسارع وتتعالى، وقال:

- انت لست طفلة لرفه عنها واعيد البسمة الى وجهها بمجرد احضار هدية لها. لا يمكننا يا عزيزتي التعويض عن الاذى الذي الحقه كل منا بالآخر طوال فترات الماضية. ولكننا نستطيع ان نحاول عدم ايذاء بعضنا في المستقبل.

- فلماذا الورود اذن؟

- لانني اردت ببساطة ابتياع بعض الورود الجميلة لامرأة جميلة. الا يكفي ذلك؟

- نعم. لم يأتني احد من قبل بأي ورود على الاطلاق.

شعرت في مكانها عندما تأملت وجهه يقترب من وجهها. [illegible]

[illegible] اي انفعال، قالت له بهدوء مصطنع:

- انها ورود جميلة جداً، الم تكلفك؟ الا تعتقد انها ستكون رائعة في منتصف الطاولة.

رفضت تانيا ان يشاركها احد في اول هدية شخصية لها من جوليان،

وقالت:

- ان لم يكن لديك مانع، يا جوليان، فاني افضل وضعها في غرفتي.

تراجعت جوليا لاسمها ببرودة وكأن احدا صفعها بعد تقليمها ترابطاً وديا للغاية... وقالت:

- بالطبع يمكنك اخذها الى غرفتك. كانت فكرة للائقة مجرد اقتراح بسيط. لا اعلم ان جوليان احضرها لك انت.

اوحت لهجة جوليا بانها تعتبر نفسها اجلى من تانيا باستلام مثل هذه الهدية الرقيقة. وتنهدت الزوجة الشابة، رافضة بعناد التراجع [illegible]

[illegible] دونها من جانب جوليان، الا ان امتيازها الجميلة تكمن في انه اعطاها شيئاً دون ان يشعر بانه مرغم على ذلك.

لما انتقلت تانيا بنفسها في وقت لاحق من تلك الامسية، اخذت تلك الورود الحامية التي لامستها اصابع جوليان ووضعتها على وسادتها. وشعرت ان تلك الخطوة الغزلية البسيطة لم تكن الا اعترافاً صريحاً بحبها لزوجها. كانت تجاريب هذا الحب وتنمو اكثر فأكثر دون توقف، لانها تعلم انه سيلحق بها في نهاية الامر آلاماً لن تتمكن من احتمالها، شعرت بشيء من الحزن حتى اقنعت نفسها بان الحب لن [illegible] الا يعرف ابداً انها تحب له اكثر بكثير من مجرد الجاذبية والاثارة.

[illegible] الآن الا لشكره ثانية على احضاره الورود الجميلة. ولكنها وجدت والدة عوضاً عنه، فسألها بأسى:

- هل تبحثين عن جوليان؟ انه في غرفة المكتب يطلع على بعض الخطوط العريضة والمواصفات الاولية لمشروع جديد. واعتقد انه لن يتضايق ابداً من جراء ذهابك اليه.

فعجلت تانيا تحت حماي دون الصحيحة، فقالت له كاذبة:

- لا، لم اكن ابحث عنه. ذهب جوش الى البوفيه وشعرت انا برغبة لتذوق القليل من الحلوى المنعشة قبل ان اكمل تمضية المساء.

- فكرة لا بأس بها. اجلسي. انها ليلة حارة وراكدة.

جلست بصمت بقربه. لقد كادت تانيا ان تنسى خلالها وجود شخص آخر قربها. ثم سمعته يسألها بحذر:

- يبدو ان العلاقة بينكما تحسنت باستمرار. أليس كذلك؟

لم تعلق بشيء على ذلك السؤال الذي لم يخطر بوجهه بدءاً عنه. فعاد يسألها:

- هل زالت كراهيتك لأخي يا تانيا؟

ردت عليه ايجابا بكلمة واحدة، وتطلعت الى جهة اخرى آملة في انهاء محادثة لم تبدأ بعد.

- اعتقد انك عندما جئت الى هنا كنت تذكرين نفسك كلما تنفست انك مضطرة لكرهه طوال الوقت. ولكن، بالطبع، عرفت الآن من تلك الصفة التي كنت تلصقينها من جراء انتقام رجل طوال حياته بسبب خطأ جسيم ارتكبه.

- ربما كان ذلك صحيحاً، او ربما ان الزمن يضع الأمور في اطرها الحقيقية. لا يمكن للانسان ان يلوم شخصاً طيلة عمره بسبب غلطة واحدة.

ابتسم الرجل بارتياح وقال:

- انا سعيد جداً بكلامك هذا يا تانيا. واتمنى باخلاص ان تمنح لكما الفرصة لجعل زواجكما يسير في الوجهة الصالحة.

ارتسمت بسمة حزينة على وجهها وقالت:

- لا اعول كثيراً على هذه المحاولات يا سام [illegible]. فزواجنا لم يكن مبنياً على الحب.

- الحب يا عزيزتي كشجرة الأرز التي يمكنها ان تتجذر في اصعب الأماكن... الأماكن التي يبدو انه ليس فيها اي امل للحياة والنمو، [illegible] هذه الشجرة الرائعة والقدرة على [illegible]

الصعوبات والعراقيل، هو انمى واقل من اي حب آخر.

ردت عليه بصوت متعاطف متألم:

- لا... [illegible] بعض الفتيات [illegible] بتكون علاقته بعد سبع سنوات. ولكن، لا اعارك ان لدي آمالاً كبيرة على ذلك.

ثم اضافت بعينين دامعتين:

- حب كهذا اشبه ما يكون بالأعجوبة، ولا اتصور ان مثل هذه الأعاجيب ستحدث في هذا العالم.

- لم اقصد مضايقتك يا صغيرتي.

قامت تانيا من كرسيها ورجعت الى البيت. ورفضت ان تدع [illegible] تستسلم بسهولة [illegible] كانت تعلم حقيقة انه ليس لهذه المحاولات اي امل بالنجاح.

٧ ـ المحطة التالية

غادر الصبيان الصغيران بلعبة زحالات... ويتصورانها. وأخيراً وضع جانيك اصبعه في فمه وأطلق صفيراً مفزعاً أعقبه صمت قصير... وحمل ذنبا على الابتسام.

ـ سنذهب أولاً الى ذلك المكان الرائع الذي يسمى فندق العجوز.

اعترض جون قائلاً:

ـ ولكني أريد الذهاب أولاً الى منطقة أرض النار!

أيده في ذلك زميله في المدرسة داني ميطرت، قائلاً

ـ وأنا أيضاً.

ـ فندق العجوز أولاً، ثم الى أرض النار.

لكن جانيك بلهجة حازمة لا تقبل الاعتراض أو حتى المناقشة، فانصاع الصبيان الصغيران صاغرين وسارا نحو المخزن العام، وسمع صوت [illegible]:

ـ يا لطلبي القرنين الجميلين

فضحكت ذنبا وردت بمرح عذب:

ـ [illegible] لو تم ذلك فعلاً لربحت [illegible] أحد [illegible] في مدينة زحالا البقر... مدينة قدرلاك العظمى.

زادت [illegible] من حلاوة اخبار رحلتها، ولم يكن ذلك بسبب [illegible] ولا لأنها كانت تشعر بجاذبية [illegible] لصحبتي كيفما سارت. كانت مرتاحة لتوطيد [illegible] الصداقة التي [illegible] من الرجل الذي [illegible] وللعلاقة الطيبة الناشئة بينها منذ [illegible] جون و[illegible] العاشقة في نزهات ورحلات متعددة.

[illegible] مركز [illegible] في مدينة [illegible] العجيبة. [illegible] جانيك [illegible]

ـ هذا الصبي داني من الذين يطرحون أسئلة غريبة وعجيبة.

[illegible] حضورنا الى هنا بأنه يحتاجون لتحقيق عدل.

ـ [illegible] عن شكوكه بأن [illegible] الاخلاق. ولهذا السبب بالذات [illegible]

ـ ولا تنسى [illegible].

وكذلك الزرافات. [illegible] جون كثيراً عندما اعترف داني ان معظم هذه الحيوانات موجودة ضمن حدود معينة لا يمكنها تجاوزها.

ـ [illegible] عليك [illegible] هو المرض الاساسي [illegible]

قلبها تلك الرسالة التي أعلنتني في فرنسا. كنت أخبر عنه له قصة طويلة عن رحلة صيد شجاعة في الأدغال والبراري.

ـ أعتقد أن جرة مرتاح جداً لمجرد عودتك إلى البيت.

نظر إليها بتمعن وسألها بلهجة ملحوظة:

ـ وماذا بالنسبة لك يا تانيا؟ هل أنت سعيدة أيضاً بعودتي؟

رفضت الرد على سؤاله بجدية، وقالت له مازحة:

ـ أنه أولاً يكون أبيه وجوبه [illegible] عناق جرة.

لم يحاول دفعها إلى التصريح بأكثر من ذلك، إنما ابتسم وقال:

ـ يجب أن يكون الأستاذ ثالثاً في بعض فترات حياته. ما هو معروف!

خرج جون وداني من البيت بحماس وصرح تشارلي [illegible] شيء سوى ضمها بقوة ذلك الذي قبل قليل. وسأل جوان [illegible]

[illegible]

بعد ربع ساعة كان الأربعة يخرجون من منزل [illegible] بسرور طاغ للمغامرة. وسأل داني رفاقه عما إذا كان بإمكانهم جميعاً الذهاب إلى تلك الهضبة التي تقع قرب النهر الكبير. [illegible] من جانبه برأسه موافقاً، فصفق داني بفرح وصاح:

ـ هيا بنا، لنذهب إلى الجسر المعلق.

[illegible] نزهة وتسلية ومرح، وشاهدا فتاتين مراهقتين تسيران نحوهما بسرعة وهما تضحكان وتتمايلان، دون أن تنظرا أمامهما. كادت إحدى الفتاتين أن تصطدم بجوان لو لم ينحرف بجسده [illegible]

: [illegible] وجهه بعطفها وحاولت جهدها [illegible] تقول له متلطفة:

ـ لطريقي! أنا آسفة!

لمس كتفيها وضغطها بمرح وهو يقول لها مازحاً:

ـ كلا عليك من هواجس مرورك يا آنسة.

أحست [illegible] نظرات الدهشة [illegible] أن جاذبية جوان وسحره سجلا انتصاراً جديداً. سمعت الفتاتين تضحكان بعجب ثم تبتعدان عنهما. [illegible] الإطراء التي تبادلتاها عن جوان.

ـ ولماذا هذه الابتسامة الخبيثة يا حبيبتي؟

أرادت أن تتجاهله قليلاً، فقالت بلهجة ساخرة بعض الشيء:

ـ أوه، فقط حادثة الصبيتين [illegible] جداً

ـ وهل تؤاخذينا [illegible]

[illegible]

ـ [illegible] من الرحلة الطويلة

سمعت ضحكة خفيفة ورأته فيما كان يطوق خصرها بذراعيه ويقول مداعباً:

ـ تانيا لا تقولي، أنت تغازلينني الآن.

انطلقت من موضع يده موجات حرارية قوية عمت كافة أنحاء جسمها بشكل أحست بسببه في حاجة لابتعاد عنه، وقالت لاهثة:

ـ لا، لم أكن.

أجابها برقة وهو يحدق بشفتيها:

ـ لا بل كنت، وسوف تتحملين مسؤولية هذه المغامرة.

ـ جابك، لنمش يا تانيا.

نظرت حولها بسرعة ثم شاهدت اي شخص قربها، ولكنها عقبت الى القول:

ـ كلا... كذلك انا لا ارى جون ودكي.

وضع اصبعه على فمها الوردي وقال في هدوء:

ـ اذا كان الولدان قد ذهبا الى المنطقة الرحبة، فلنتظر وقتاً يكون مناسباً اكثر من الآن.

لحقا بالولدين الصغيرين فيما كانا يراقبان نجاراً ماهراً يحفر اشكالاً خشبية جذابة. وشاهدا امام الباب تمثالاً خشبياً لاحد الهنود الحمر يقف بشموخ ويضع ذراعيه على صدره. سأل جابك ابنه بهدوء:

ـ هل تحب ان تراه يحرس حديقة البيت؟

ـ اعتقد انها فكرة رائعة، ولكني اتصور ان جدتي لن توافق على ذلك.

وضع جابك يده بحنان على رأس الصبي، وقال له ضاحكاً:

ـ [illegible]

ثم نظر الى تانيا وقال:

ـ اني احسد هذا الهندي.

ولما احست استغرابه وحيرته من سبب حسده، قال:

ـ ليس لديه قلب يخفق مثلي.

تسارعت دقات قلبها عندما سمعت تلك الكلمات المختارة بلباقة وعناية، وراحت تفكر فيه بحرية وروية. انه يغازلها كما كانت تغازله الى قبل. وكان من حسن حظها ان الصبيين كانا هناك، فحولت انتباهها اليهما... بعيداً عن ذلك البريق المزعج في عينيه. سألتهما وهي تعرف مسبقاً انها ستحظى برد ايجابي فوري:

ـ هل تريدان الان زيارة المتحف؟

ونظرت الى جابك بابتسامة وقالت:

ـ كنت سأقترح محل الزجاجيات والمزهريات ولكني اخشى ان يكسرا كثيرين ماتحتين يحطمان كل شيء حولهما.

سألها جون وهو ينظر بأمل نحو والده:

ـ هل ستأتيان معنا هذه المرة؟

كانت تانيا على وشك الموافقة، عندما وضع جابك يده فجأة على كتفها وقال:

ـ لا، اذهب انت ودابي بمفردكما.

بعد دقائق معدودة، كانت تانيا تراقب الولدين وهما يدخلان النفق. كان جابك يقف وراءها مباشرة، والحرارة المنبعثة من جسمه اقوى من حرارة الشمس. وسمعته يسألها بإلحاح:

ـ هل تحبك انت؟

ـ هل لدي ماذا؟

ـ هل لديك قلب عاشق؟

ضحكت تانيا في محاولة لاخفاء حيرتها كأنه نكتة طريفة، وقالت:

ـ طبعاً لا.

ـ [illegible]

ابتعدت عنه خجولاً وغيرة، فقال فاعل الخير بلهجة ساخرة:

ـ لا تخافي يا عزيزتي. لم اتحدث عن الحب الا اقتراحاً.

استدارت عنه بسرعة وهي تبحث حائرة عن سبيل للتهرب من حديثه، ثم تمتمت قائلة:

ـ لم يخطر هذا الموضوع ببالي ابداً، وعلى ذلك لا اريد ان اتحدث ما فعل.

ـ لماذا لا يمكنك افتراض ذلك؟ انت امرأة جميلة وجذابة، وعلاقتنا تسير على ما يرام منذ شهرين. اصبحت معرفتنا الآن من نوع آخر تماماً. وحين لا تكونين معي اشعر بالوحدة والاسى الذي اشعر به اتأخر. وعلاقتنا اليوم تختلف عن كل تصوراتي في البدء.

في الزوجة، وانا اتحدث عن زوجة حقيقية.

احست بان رجولتها كحنان صعبية بالغة في عنقها، وتركها عازحة [illegible].

ـ ها قد عدت لمغازلتي مرة ثانية.

ـ ربما، ولكن ما قلته لك هو الحقيقة بعينها. عدت الى الوطن والى البيت، واريد ان ابقى. تعجبني كثيرا الفكرة بوجود بيت وحياة [illegible] ... [illegible] عندما انظر الى جون، اشعر بجاذبية انه سيفرح كثيرا بوجود طفل ... او ربما اخت صغيرة ذات عينين جميلتين وشعر اشقر [illegible].

ـ لا ... لا تتحدث هكذا!

حاولت ان تبتعد عنه لالتقاط انفاسها، ولكنه امسك بكتفيها والصقها بصدره. ثم سألها هامسا:

ـ لم لا؟ هل ما زلت تحسبين صعوبة بالغة في ميثاق الحب، حتى بعد هذه العلاقة الجميلة الرائعة التي قامت بيننا طوال الاسابيع الماضية؟

ـ لا ... [illegible] نعم

شعرت بالدهشة لانها وجدتها جميع قدراتها على التفكير بروية وسكينة.

ـ اعطني جوابا واحدا. نعم ام لا؟

احست بحاجة ماسة للابتعاد عنه قليلا، وقالت له بصوت [illegible]:

ـ ارجوك يا جايك. لا اقدر ان افكر بطريقة صحيحة وسليمة عندما تضغط علي هذا الضغط.

ـ هذه خطوة في الاتجاه الصحيح.

ـ انها لا تعني شيئا. كل انسان يتجاوب مع الملاعبة والمغازلة.

احست بفراغ هائل يعصر قلبها عندما لم تعد تشعر بحمايته

ومداعباته، الا انها استجمعت قواها ومضت الى المقعد بخطوة متثاقلة:

ـ انت تحيرني. اعتقد انك ولد جون، [illegible] وجذاب. ولكني لا اظن انني على استعداد لتعقيد حياتي بوقوعي في حبك.

ـ كيف يكون وقوعك في حبي سببا في تعقيد حياتك؟ من المؤكد ان هذا الامر سوف يجعل حياتك طبيعية وخالية من التعقيد، بما انك فعلا متزوجة مني.

وجدت تانيا نفسها في فخ من صنع يديها، فاحتجت بالقول:

ـ انت لا تفهم الوضع.

ـ احاول ذلك قدر استطاعتي. ربما كان عليك ايضاحه بصورة افضل.

ـ لا ... لا اظن ذلك.

حولت نظراتها الاضطرابية في عينيه الى [illegible] [illegible]، [illegible] بالحياء:

ـ لم لا؟

ـ لانني صدقا، لا اريد ذلك. ليس الآن، على اي حال.

ـ انا لا العب معك يا تانيا. اني احتاجك بجدية بالغة عندما انزل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الاروقة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

تنهدت بحزن وقالت:

ـ اعرف ذلك. ولكن ثمة اشياء مهمة لا يمكن للانسان ان يبعدها بسهولة، مهما حاول جاهدا.

ـ يجب ان تنسي يا تانيا. يجب ان تنسي، والا ذهبت جميع علاقاتنا سدى.

- أنت قلت بنفسك يا جانيك، ان هذه الأمور تتطلب وقتاً. التمني وحده لن يزيلها!

سألها بصوت ناعم وهو يلوي وجهه عنها:

- هل تعتقدين بأن ثمة أملاً في النجاح؟

نظرت الى عينيه شبه المغمضتين، وأجابت قائلة:

- [illegible]

ابتسم وقال لها بلهجة ترمي بثقة كبيرة.

- إني مضطر لحثك على استبدال كلمة أحياناً بعبارة "فعل . . . [illegible]".

- الحق لو كان بامكانك ذلك يا جانيك.

أحنت رأسها قليلاً ولكنه أمسك بذقنها ورفع وجهها نحوه قائلاً:

- كل ما عليك القيام به هو مقابلتي في منتصف الطريق. انا لم اطلب منك أبداً أن تكوني انت التي تعطي كل شيء، وتقوم بكافة الخطوات الضرورية. ولكن الزواج ليس مشروعاً يتقاسمه اثنان بنسبة خمسين في المئة لكل منهما، كما يعتقد بعض الناس. كي يكون الزواج ناجحاً يجب على كل من صاحبي العلاقة ان يشترك بنسبة مئة في المئة.

ألم تتصور أبداً انك ربما كنت تتطلب الكثير من قلبنا؟

- ألم تتصوري انت أبداً انك ربما كنت تتوقعين من الحياة قليلاً؟ [illegible] الأمور بسرعة لا تتحملها.

[illegible]

- هل لديك ثقة عمياء بالمستقبل؟

- ألا تعتقدين انه بإمكاني ارشادك الى الهدف الصحيح والى [illegible]؟

[illegible] انها سوف تضطر للاعتراف

بشيء ليست مستعدة بعد تماماً للاعتراف به، أمسك بيدها وقال بحنان:

- ها قد عاد الشابان الصغيران. [illegible]

قاموا بجولة كبيرة شملت أرض الدار وبيت الشجرة وبيت العنب، وتوقفوا مرات عديدة للشرح على كيفية بناء غرفة من جذوع الأشجار، وصنع الشموع. وشاهدوا عدداً كبيراً من الحرفيين [illegible] الأدوات الفخارية والخزفية، وكيف تحاك الأغطية، وكيف تقطع الأخشاب. ثم أعلن جون لأمه انه جائع، ووافقه دان على ذلك بسرعة ودون تردد. نظر جانيك باسماً الى وجنتي تانيا المورّدتين، وقال:

- وانا ايضاً جائع، يا أماه.

ضحكت عليهم تانيا، وهي تحاول اخفاء الخجل الذي بدا على وجهها بسبب جانيك:

- هيا بنا الى السيارة.

- أين سنتناول طعام النزهة يا تانيا؟

- على صخرة الأحلام.

- الى صخرة الأحلام اذن.

رفع جون رأسه بمجرد الانتهاء من الكلام، وقال:

- لنصعد الى اعلى التلة.

نظر جانيك نحو تانيا [illegible]:

- هل كنت مستعدة لذلك، أم انك صعدت اليوم تلالاً بما فيه الكفاية؟

- [illegible]

وقف جون ودان صامتين وهما يتأملان ذلك المنظر الفريد، وقالت تانيا بصوت ناعم هادئ:

- انها رائعة، أليس كذلك؟
طوق خصرها بذراعيه وشدها نحوه قليلاً، ثم قال:
- يقول العلماء ان هذه المرتفعات الصخرية تلال أورورك هي القمم [illegible] إنها لا تزال تبدو في مكانها بالقساوة والصلابة على الرغم من هذه السنوات الطويلة.
- أي، كم عمر هذا النهر الذي يقولون ان احداً لا يعرف عمره؟
- عجبت سؤالك بنفسك، لأن احداً في الحقيقة لا يعرف كم عمره.
- ولماذا لا يعرفونه؟
- عندما أتى المستوطنون الأوائل في القرن التاسع عشر، كان النهر موجوداً [illegible] الأخيرة مئات الكيلومترات الى العالم الخارجي. قال هؤلاء المستوطنون ان الصيادين وتجار الفرو استخدموه قبلهم. وقال الصيادون ان المستكشفين الفرنسيين والاسبان تعرفوا عليه، وكان يرشدهم عدد من الهنود الذين استخدموه قبل المستكشفين. وقال الهنود [illegible] تلك النسبة الصحيحة... النهر الذي لا يعرف أحد عمره.
هزت جون رأسه وعاد يتأمل بإعجاب بالغ ذلك المنظر الساحر، وسمعت ثانية صوت زوجها يكلمها هامساً:
- انه نهر ذكي.
- ولكنه جعلني كثيراً في بعض الأحيان.
- انه [illegible] انك تفكرين كثيراً بالعالم يا حبيبتي.
نأرت رقبتها الى الالتصاق به وطالبته بعدم التوقف عن مداعبة شعرها وعنقها، وقالت له بهدوء مصطنع:
- أتصور ان ذلك صحيح، ولكن سبب هذا القلق هو نتيجة

اضطرابي الأخير، الأم والأب في نفس الوقت.
ضغط عليها بذراعه القوية وقال:
- لم تعد ثمة حاجة لذلك بعد الآن.
نظرت اليه بارتياح ووجهت له ابتسامة سعيدة وهي تقول:
- اعرف ذلك.
- سيأتي يوم أقبل فيه الدعوة الصريحة من شقيقك، بغض النظر عما اذا كنا على انفراد أم لا.
أدارت وجهها عنه لتخفي احمرارها الفاضح، وأشارت الى شجرة قائلة:
- انظر، انظر الى تلك الشجرة المنفردة هناك.
- يجب ان نأتي لنقطف ثمارها في الخريف القادم، عصير حلو أول درجة صغير.
- أحب ذلك كثيراً.
- ألا تعتقدين أننا نخطط لمستقبل بعيد نسبياً؟
تراجعت ثانية الى الوراء بدهشة، ولكنه ضحك ومضى الى القول:
- لأنت الآن! أكرت نفسك فعلاً بل [illegible] تعطف على الصغار، ولن أسمح لك بالتراجع [illegible] الأم العذراء. وأتوقع منك ان تحافظي عليه.
- انك لست منصفاً.
- لقد لا انصفك وحده.
- ابي، أمي! هل يمكنني أعطاء داني ساعتي الصغيرة مقابل حصولي على هاري؟ أرجوك، أرجوك!
ابتسمت ثانية وسألته بهدوء:
- أولاً، من هو هاري؟
اجابها داني قائلاً ان هاري هو جرذه الملون. قال له جايك حازماً:

- ولكنك بالتأكيد لا تريد التخلي عن صديقك القلق هذا، اليس كذلك؟
- قالت لي أمي ان علي التخلص منه بطريقة او بأخرى.
- هل يمكنني، يا أمي، الحصول عليه مقابل صاحبي هذا؟
- لا اعرف...
قاطعها جايك موجهاً سؤاله الى تاني
- وما هو عدوي بالضبط؟
- بالضبط؟ فاري هو صديقي... الفأر الأبيض.
صرخت تانيا بدهشة بالغة:
- فأر؟
- انه لا يؤذي، يا أمي!
رمقت الام الطفل [illegible] وعلى [illegible] اقناعها بأنه سيضعه خارج البيت. تدخل جايك ثانية وقال له بحزم [illegible]:
- قالت لك لملك لا، يا جوني، وهذا يعني لا بصورة نهائية.
وفيما ذهب الولدان بانزعاج وغضب ظاهرين، ارتعش جسم تانيا من شعور مقلق [illegible] الأمين [illegible] موعدها [illegible] قالت:
- [illegible]
- لا [illegible]
- يجب ان تكوني مسرورة لأن جوني [illegible] قبل القيام [illegible]. فلست كان سيحضر [illegible].
- اي عمة لذلك.
- كان بامكانك طبعاً تمييز حرمك الامين ضد الفئران.
ضحكت تانيا لدى سماعها اقتراحه المرح وقالت مازحة:
- هذا أفضل عرض قدمته حتى الآن.

نظر الى جسمها النحيل بتمعن وقال:
- لو تعلمت بقليل من التشجيع، لقدمت لك عروضاً اخرى أفضل.
- اعتقد... اعتقد ان الوقت حان كي يأخذ داني الى بيته.
- انك خبيرة في تجنب المواضيع الحساسة، أليس كذلك؟
وعندما لم ترد على سؤاله الساخر، تنهد وقال:
- حسناً، لنذهب. على اي حال، أمضينا اليوم اوقاتاً ممتعة [illegible].
أجابت [illegible] بصدق وإخلاص، قائلة:
- كان حقاً يوماً رائعاً.
شعرت تانيا وهي تقول جملتها هذه ان الساعات القليلة التي أمضياها معاً ذلك اليوم أضافت بعداً ايجابياً جديداً الى العلاقة القائمة بينهما [illegible] وتذكرت [illegible] الاخيرة اكثر اتصالها بها... ويرجع اليها [illegible] كلما عاد الى البيت، [illegible] كلما كانت [illegible]. تذكرت الاشياء الصغيرة التي [illegible] على حدة. [illegible]
[illegible] عليه قبلة المساء، [illegible] يبقى الى [illegible]. كان [illegible] من [illegible]. [illegible] ابداً بأكثر مما كانت ترغب في [illegible] الا ان [illegible] على [illegible] بعد ان احتفظت بها [illegible] هذه المدة لن يفهم مشاعرها واسبابها، ولن يغفر لها...
[illegible] باب الحديقة ودخلت منه [illegible].
- كيف [illegible]؟ هل جايك هنا؟

- لا، لم يعد بعد إلى البيت.

- إنه لأمر مؤسف حقاً. قال إنه سيعود باكراً، وكنت آمل في مقابلته هنا. هل تعلمين ما إذا كان سيتأخر؟

- لا، لا أعرف. هل تريدين انتظاره؟

- لا، يجب أن أعود سريعاً. كنت أتطلع قدماً إلى رؤيته بعد ظهر هذا اليوم.

- هل الأمر هام؟ يمكنك أن تتركي له رسالة معي

- حقاً؟ طبعاً يمكنني الاتصال به هاتفياً في وقت لاحق، ولكني لا أريد إزعاجه عندما يمضي بعض الوقت مع ابنه.

وصل الغضب والاشمئزاز بتانيا إلى درجة الغليان والانفجار، وقالت بسخرية لاذعة:

- إنك متغطرسة وحقيرة للغاية.

- لقد حدث سوء تفاهم بالنسبة لموعد اللقاء في النادي البلدي. بلغه أن الموعد هو الواحدة بعد ظهر السبت، عوضاً عن الثانية.

- حسناً، الواحدة بعد ظهر السبت.

شكرتها تانيا بدلاً من أن تشعر بالاشمئزاز والغضب. إلا أنها توقفت فجأة وقالت:

- كنت أنسى، شاهدت قطعة الأرض التي كان ينوي شراءها، اعترف بأنها بقعة جميلة. إن الوقت المناسب سيأتي لمساعدته على تحقيق التصميم. ربما سنحت له الفرصة لشراء قطعة الأرض معاً.

ظل الغضب يتأجج فيها إلى أن تخيلت زوجها يقابله قطعة واحدة من قطعة الأرض إلى أخرى. هل كان يجدها طوال الأشهر الماضية شهوة للتملك، ساعياً في الوقت نفسه مع ذلك الحماس عنها، ولا يقال عنها الروائح الشهية بعد الشمس والظلال.

لا عدا في منتصف الحادثة، والأقرب قرب من الوقوف على من مشهدها الأخير

تشبه المعركة تحتاج ارتياحاً وتنفساً. وقالت لها بمرح ظاهر وهي تلوح بيدها مودعة:

- ستقولين له إنك تبعثين إليه التحية والسلام.

٨ - الماضي العدو

بعد ذهاب شيلا بأقل من نصف ساعة، سمعت تانيا صوت سيارة في المدخل المؤدي إلى البيت. وبما أن شيلا [illegible] [illegible] بنفسه. أحست برغبة قوية للخروج بسرعة ومواجهة تلك [illegible]

مرت لحظات عديدة قبل أن تسمع باب الحديقة الزجاجي يفتح [illegible]

[illegible] أما الآن فهي تعرف أنها نظرات خداع وكذب.

- مساء بارد لعروس الشمس الجميلة!

[illegible] إيماءاته ومداعباته، في حين أنه كان يخدعها طوال الوقت. ابتسمت رغماً عنها، وقالت:

- لم أتوقع عودتك في مثل هذا الوقت المبكر.

[illegible] حولي.

وقفت تانيا والغضب يكاد يخنقها، ولكنها حافظت على هدوئها [illegible] وقالت له بلهجة طبيعية جداً:

- أتاني اليوم زائر.

- أوه؟ من؟

- شيلا [illegible]

لاحظت تانيا مسحة استغراب تظهر على وجهه، ولكنه سألها بصورة عادية:

- [illegible]

- في الحقيقة، لم تأت شيلا لتزورني أنا... بل جاءت لتبحث عنك.

[illegible] لأنه لم يحاول التظاهر بالدهشة، وأحست بسعادة غريبة عندما شاهدت ذلك الصوت الخفيف في ملامحه. سألها عن حضورها، فقالت:

- تركت لك رسالة شفوية معي. ذلك أن [illegible] مقابلتها في [illegible]

وتشاء ايضاً [illegible] قطعة الأرض التي تنوي ابتياعها، [illegible] بعضاً [illegible] من الأطلال. [illegible] بحث هذا الموضوع بالتفصيل يوم السبت.

اجابها وهو يحاول السيطرة على اعصابه وكبح جماح غضبه:

- كنت انوي اطلاعك بعد ظهر اليوم على مسألة تلك الأرض.

ابتسمت بسخرية وقالت:

- لم تعد بحاجة لازعاج نفسك لأني اصبحت مطلعة على الموضوع.

- انت لا تعرفين الا ما قاله لك فيلا. ويبدو انك تبنيت افكاراً خاطئة من جراء ذلك.

لم تعد تانيا قادرة على ضبط اعصابها، فصرخت قائلة بحدة:

- اوفر عليّ الايضاحات والتفسيرات اللاضرورية! انا متأكدة من انك قادر على جعل الأمور تبدو وكأنك لم تقم بأي عمل مشين.

- هذا صحيح. لم اقم بأي شيء مما تظنين.

[illegible] اليوم الذي [illegible] باحوبانا [illegible] انك لا تحصل ابداً الا على [illegible] على كلامها:

[illegible]

نظرت نحوها كنمر متوحش [illegible] بحدة بالغة، [illegible] بعنف:

- سوف تستمعين الى ما سأقوله لك! اتفهمين؟

كانت سريعة مثله، فحررت نفسها من يده وصرخت به قائلة:

- لا. لست مستعدة بعد الآن للاستماع الى [illegible]

- [illegible]

لن تضطر الى اي عناء حتى لتوضيح ما جرى. من المؤكد انك لم [illegible]

جذب الخجل المرير دموع الخوف الى عينيها الجميلتين، وقالت بأسى:

- [illegible] مع اننا [illegible] اوضحت عكس ذلك دون خوف او خجل.

نهض جايك لكي يرد عليها، ولكنها رفعت يدها تمنعه من ذلك بضعف:

- لا، لا تقل شيئاً. انك لم تقل لي ابداً انك سوف تتخلى عن [illegible] لك بشأن هذا الموضوع. وعليه، فان الأمر لم يكن الا مجرد كذبة بيضاء. من المحتمل انني خدعت نفسي. لم يعد يهم الآن، بعد ان عرفت الحقيقة.

ردّ عليها بصوت غاضب:

- ولكنك لا تعرفين الحقيقة! [illegible] الحقيقة!

رن جرس الهاتف داخل البيت، فنهض جايك [illegible]. ولكنها قالت له بنبرة مؤلمة:

- [illegible]

[illegible] وفجأة، سمعت جايك يناديها من الداخل:

- تانيا، تعالي الى هنا.

لم ترد عليه ولم تعره اي اهتمام على الاطلاق، لصرخ بها:

- تعالي فوراً وإلاّ انت وجورنك يقتني!

احسست بأنه يعني ما يقول. لمست نحوه بتمهل مرهق للاعصاب. امسك بذراعها بقوة وجذبها بعنف نحو الهاتف الذي كانت سماعته لا تزال معلقة بجانبه. رفع جايلك السماعة وقال:

- ابي، كرر ما قلته لي قبل لحظات.

ثم وضع السماعة بسرعة على اذن تانيا فسمعت صوت جاي دي يقول باستعجال.

- اكرر ما قلته؟ كل ما قلته لك ان مرعب الأجتماع المختصر [illegible] بعد ظهر [illegible] [illegible] [illegible] شخص يبقى مع جورن اثناء غيابها عن البيت. هل من الصعب عليك تذكر هذه المعلومات القليلة العادية؟

[illegible] بعنف جايلك واعطته السماعة بهدوء وحياء.

- شكراً يا ابي.

لكن جاي دي عاد إلى الكلام بصوت كانت تانيا تسمعه بوضوح:

- انتظر لحظة... ذكرني امك [illegible] [illegible] فلا تنسى ان تأخذ معك الاشعة من [illegible]

ثم اضاف ضاحكاً:

- [illegible] [illegible] [illegible] لانها قوية وجميلة في وقت واحد.

[illegible]

قلبي. كان يتحدث مع والدته ولكن قسماً منها من سماع كلامه:

- اني آسفة يا جايلك. آسفة جداً.

قالت كلماتها هذه هامسة قبل ان تستدير بخوف وعلى الى الوراء وتركض هاربة متعثرة نحو الحديقة. لم تعد قادرة على مواجهته او النظر اليه [illegible] [illegible]

[illegible]

حطت ذبابة على ذراعها ثم ذهبت. ولكنها عادت ثانية، فتحركت لابعادها عنها. [illegible] [illegible] جايلك. ولم تسمع وقع قدميه وهو يركض نحوها. [illegible] وهو يقول:

- لا تخافي. كل شيء على ما يرام.

- جايلك، جايلك.

- انا هنا. اهدئي الآن، لن يحدث لك شيء. [illegible] لا تخافي.

طوقت خصره بقوة [illegible] كان يربت على كتفيها بحنان بالغ [illegible]

- هل انت بخير الآن؟

هزت رأسها [illegible] [illegible] [illegible] وقالت:

- اعرف ان من السخافة بمكان ان اعترف ان هذه الموجة، ولكني لا استطيع التحكم باعصابي. ضمني اليك لفترة اطول يا جايك. ارجوك.

- الى الأبد، اذا كنت تريدين ذلك.

مرت دقائق عديدة قبل ان تسحب ثانية يدها يرفقه من حول خصره. كانت تشعر بان رجليها لا تزالان ضعيفتين وغير ثابتين. ولكن قسماً من صدمتها زال تدريجياً. تشعرت بالكآبة التي كانت تطوقه لها. تمتمت بصوت خافت:

- اظن انني اصبحت الآن على ما يرام.

[illegible]

- هل تذكرت شيئاً؟

- هذا... هذا؟

[illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] شيئاً.

[illegible] على [illegible] مداعباً وقال:

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

- [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

- [illegible] [illegible] [illegible]

كانت [illegible] [illegible] على [illegible] فقالت:

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

لتضم وضمها الى صدره بحنان متحجر:

- انت متعبة جداً.

ضمها اليه بلطف ورقة. ولكنها فجأة طوقت عنقه ارتاف ذراعيها بيديه ورفع رأسه عنها بهدوء قائلاً:

- اني اقبل اعتذارك. والآن... هل ترغبين السير الى البيت او ان احملك اليه؟

اجابته باتسامة متقطعة، وهي تشعر بانها لو قبلت ان يحملها فلسوف تنزله دونما حياء او خجل:

- لا. [illegible] [illegible]

سائلها مازحاً:

- هل اصبحت تشعرين بخطر عندما احملك بين ذراعي؟

ضحك عندما لم تجب، وسارا الى البيت بهدوء [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] الباب [illegible] عن

سيطرتها من شيء؟ [illegible] [illegible] [illegible] على

التفكير بشكل صحيح. [illegible] [illegible] [illegible]

خرجت ووقفت [illegible] حتى سمعت طرقة خفيفة على الباب.

[illegible] جسمها في رداء عاجي جميل، وقالت:

- ادخل.

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

- [illegible] الآن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

لم تتمكن تانيا من اخفاء ذلك البريق الساطع الذي غمر عينيها وهي تنظر الى وجهه [illegible] . [illegible] وجهها [illegible]:

- من المؤكد اني تصرفت كانسانة غبية جداً. ولكن [illegible] من [illegible] ... الا [illegible].

[illegible] اوراق [illegible] . [illegible] وجهها [illegible] وشاهدت [illegible] من [illegible] الاوراق [illegible] . [illegible] عن هذه الأوراق التي كان يفتحها امامها على السرير.

- تعالي وانظري.

[illegible] ثم قالت:

- انها خطوط خريطة لمنزل جميل.

- لا ليس لمنزل. انها لمنزلنا يا عزيزتي. [illegible] على [illegible] على بقية التفاصيل.

تهللت تانيا بقوة وسألته:

- هل تعني ... [illegible]؟

- [illegible] ... هذا لا [illegible] انهما [illegible]. [illegible]!

شعرت بما توحيه كلماته، فقالت له مترددة:

- طبعاً، ولكن...

- [illegible] تريدين [illegible].

لم يترك لها جايك مجالاً [illegible] . [illegible] موقع غرفة النوم وقاعة الجلوس والمطبخ و...

- هل يعجبك؟

- انه جميل جداً. ولكن...

توقفت عن الكلام [illegible] رأسها [illegible] من الاحتجاج [illegible]

[illegible] . [illegible] ويتطلع [illegible] من [illegible] الى [illegible] في [illegible]:

- [illegible] ؟ الا [illegible] في حياتنا الزوجية؟

توترت اعصابي فجأة وخفت من الكلام بقدر ما خافت من [illegible] وهي تعلم [illegible] له. وقالت عاجزة:

- [illegible] جايك، جايك!

ضمها الى صدره وفي عينيه نظرات مشعة، شعرت في ذاتها نعومة وغراء، ثم اشعل ناراً في روحها لتفتت بسرعة الى ارجاء كيانها. ثم قال لها بصوت [illegible]:

- اواه، كم تمنيت القيام بذلك منذ زمن طويل!

عصفت بها المشاعر المتلاحقة فخفقت سرعة مضطربة [illegible] [illegible] [illegible] رأسها. [illegible] جايك بتردد وعذاب وقال:

- لا يمكنك ان تعرفي مدى السيطرة [illegible] التي مارستها على نفسي لفترة طويلة، كيلا افعل ما فعلت الآن.

حول جايك نظره عنها ثم اخذ يتأمل عينيها بحثاً عن جواب [illegible] . [illegible] لا يرى الأسى والحزن والألم في عينيها. همس في اذنها بصوت [illegible]:

- لا تخافي يا حبيبتي. انا لا اشعر تجاهك برغبة فقط... مع اني اريد ذلك من صميم قلبي.

- أوه، جابك!

[illegible] ... [illegible]. لا [illegible] ... [illegible] ... تشدها قليلاً وتغني قائلاً:

- حقاً تحبني، أيتها الحبيبة الغالية. نحن بحاجة للكلام لنعرف ما [illegible] من مرارة بيننا.

- جابك، أنا...

- لا [illegible] ... [illegible] ... لا أعلم. كل ما أعرفه أني الآن أحبك، وبأكثر بكثير مما كنت أتصور أن بإمكان الإنسان التوصل إليه.

تنهدت بطريقة كشفت عن هيامها به. كانت تعرف أنها تحبه بقدر ما هو يحبها. [illegible] وهي تستند إليه [illegible] أن تظل بين ذراعيه إلى الأبد ولكنها توسلت إليه قائلة:

- لا تقل أي شيء آخر يا جابك. أرجوك.

مرت عليها لحظة تردد قصيرة شعرت أثناءها خلالها بأن جابك يريد [illegible] الأشياء أن [illegible]. ثم سمعته يقول بصوت أجش:

- دعيني أنهي كلامي يا حبيبتي، لأنني لن أتكلم عن الماضي مرة أخرى بعد هذه اللحظة. [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... سبع سنوات بكاملها وفي شعرها وعينيها لمعة الشمس الذهبية.

قال [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... فيها:

- يجب عليك أولاً أن تفهمي أن [illegible] كنا صغيرين جداً. [illegible] ... [illegible] ... لم أحاول البحث عنك... وبخاصة عندما رأيتك وأنت تحملين الطفل [illegible] ... [illegible] ... الدرجة.

[illegible] ... الآلام [illegible] ثم أضاف قائلاً:

- [illegible] ... [illegible] ... أنك تكذبين... أنك اكتشفت وجود ثروة لا علم بها لدى عائلة الأمير. [illegible] ... [illegible] ... تغفري لي ذلك؟

حاولت أن تنظر إليه ولكن ذراعيه احتوتاها حيث هي، فقالت:

- لا شيء يتطلب المغفرة يا جابك.

- الأمر الوحيد الذي [illegible] ... وكل [illegible] الأشياء التي [illegible] ... القوي [illegible] تلك.

- أوه، لا، يا جايك. لا، أرجوك

- لا ألومك لأنك كرهتني في البداية. أنا أرغمتك على الزواج مني. لم أعد متأكداً الآن من أني فعلت ذلك لتحصل على ابني أم لأحصل عليك كزوجة لي. كل ما أعرفه أني احتقرت نفسي كثيراً نتيجة الإذلال الذي لحق بك وعانيت منه بسببي. كم تمنيت أني [illegible] كنت أتذكر مدى احتقارك لي واحتقاري لنفسي. أنت لم تكوني السبب في رحيلي... خجلي من نفسي كان السبب. أنت لم ترتكبي معي أي خطأ. أنا الذي يجب أن يتحمل اللوم كله. هل تلاحظين الآن لماذا كنت مضطراً لكشف عن مشاعري الحقيقية؟ كنت دوماً صادقة جداً معي، واضطررت لأن أكون صادقاً مثلك.

صادقة! صادقة! لم يعد أمامها مجال بعد الآن كي تطلعه على الحقيقة. صدقها المزعوم هو الشيء الوحيد الذي أثار إعجابه فكيف ستطلعه على سرها دون أن ينهار هذا الصدق الهش.. ويتهاوى معه حبه لها؟ بكت وسألت بحدة

- لماذا هذا [illegible] على [illegible] الآن؟ [illegible] لم يعد يهم؟

- ما بك يا حبيبتي؟

زاد الاهتمام الصادق الحنون في صوته من الألم الذي يعصر قلبها.

- أرجوك... جايك!

أخذت تهز رأسها بعنف حزين. لم يكن أمامها سوى سبيل واحد للهرب. سوف يكرهها بسبب الخطوة التي تنوي القيام بها، ولكنه سيكرهها أضعاف ذلك إذا اكتشف الحقيقة. قالت له بسرعة متلعثمة:

- أرجوك. أريد الطلاق.

- الطلاق؟ ماذا تقولين؟ هل هذه نكتة؟

- لا يا جايك، إنها ليست نكتة. أريد الطلاق.

أمسك بكتفيها وأدار وجهها نحوه بقوة، ثم صرخ بها غاضباً:

- ألم تك لتري أني أحبك؟ هل تحاولين أن تقولي لي أنك لا تبادليني الحب؟ هل هذا ما تحاولين قوله؟

تفادت نظراته الحادة وأجابت بلهجة حزينة وأكثر إصراراً:

- قلت لك أني أريد الطلاق. أليس هذا الكلام جواباً كافياً؟

- لا! ليس جواباً كافياً على الإطلاق!

ثم غرز أصابع يديه في أعلى ذراعيها وقال لها بعصبية بالغة:

- لست جاهلاً إلى درجة لا أعرف معها أن هذه المرأة تريدني أم لا. [illegible] بقدر ما كنت أنا أرغب في الحصول عليك. ثم أعلم أنك تحبينني. اعترفي بذلك!

وضعت يديها على صدره في محاولة لإبعاده عنها، وصرخت به:

- توقف يا جايك، توقف!

وضع يداً على ظهرها وشدها نحوه، ثم أمسك بيده الأخرى شعرها ورفع رأسها نحوه قائلاً:

- أريد توضيحاً فورياً.

أخافتها نظراته القاسية ولهجته الغاضبة، ليست قائلة:

- أنت تؤلمني.

رد عليها بصوت أقوى ونظرات تشع بلهيب الغضب الصاعق:

- أنا أحبك، وما جعلك تحبينني!

رفعها بين ذراعيه بقوة رغم محاولاتها اليائسة للتملص منه. [illegible] غريزتي، لم يصدر عنها [illegible] الإغراء الذي كانت [illegible]. [illegible] ذراعيه وراء رأسها [illegible] بيد واحدة، فيما أمسكت الأخرى بوجهها وسمرته أمام نظراته الملتهبة، وقال:

- [illegible] قبل [illegible] الآن. إنها اللحظة [illegible]!

- ارجوك، يا جابك. لا تفعل ذلك.

كان صوتها يرتجف كورقة في مهب الريح، وجسمها يتعذب من [illegible]

- لن يغير ذلك شيئاً. سوف اصر على طلب الطلاق. ارجوك، يا جابك، [illegible]

اجابها ببرودة حقيقية:

- انا لا اصدقك، يا نانا.

تجمعت الدموع في عينيها وقالت له بصوت ضعيف:

- لست قوية بما فيه الكفاية، يا جابك، كي اتمكن من مقاومتك وصدك.

حدق بها طويلاً قبل ان يجيب بقساوة بالغة:

- اللعنة عليك!

ابعد وجهه عن نظراتها المتوسلة وهو يهب واقفاً حانقاً وغاضباً. بكت بحرقة وتعاسة وهي تسمع صوت خطاه تبتعد عن سريرها، ثم سمعت باب غرفتها يفتح ويغلق بقوة، فتأكدت انه تركها وذهب. دفنت رأسها في وسادتها واخذت تضرب السرير بيديها متحسرة:

- اوه، جابك، جابك. اني احبك. احبك وارغبك من صميم قلبي.

٩ ـ المفاجأة الاخرى

كانت الاوقات تمضي وتمضي معها [illegible] في الايام التالية. كان جابك ظل يرفض البقاء في غرفة واحدة مع نانا. كان الغضب كسحابة سوداء تلاحقه طوال الوقت، حتى ان جون اصبح يتحرى مغادرته خوفاً من التعرض لانفجارات غضبه وحنقه. كانت نانا تسمع صوت خطواته ليلاً وهو يقطع ارض غرفته ذهاباً واياباً.

لم تنم هي ايضاً براحة وهناء. ظهر التعب والارهاق على عينيها نتيجة السهر والقلق. كانت تشعر ان باستطاعتها التغلب عليه والاعتراف له بحبها. ولكنه لن يفهمها ابداً. كانت تكره تلك الليالي الطويلة التي تمضيها مستيقظة، تحدق بسقف غرفتها حزينة ومذهولة.

وتألمت من نظرات جوليا التي

كانت تحملها مسؤولية دعوته حتماً، ابل تمزق قلبي. وتوجهت بعد انتهاء العائلة من تناول طعام العشاء. كان جاي هو الشخص الوحيد الذي يشعر انها على وشك ان تنهار. ومع ذلك، اخذ يهز رأسه بعنف.

وكان جون المسكين الشخص الذي ظن انه من الآخرين انه لم يقترف مثل هذا الجرم العدائي من قبل. فدعاه داني جيلبرت لقضاء ليلة معه، ووافقت على ذلك [illegible] بان صحب تردده بعود الى انانيتها. انها تريد الصبي معها طوال الوقت كي يحول اتباعها قبل انقطاع عن جلك.

توجهت الى غرفة جون للتأكد من انه لديه كافة الاشياء التي وضعتها في حقيبة صغيرة. وبينما هو في غرفة [illegible] نظرت الى المرآة. تعثرت خطواتها وتوقفت [illegible] ملامح المرأة ويقف [illegible] عن [illegible] كانت تعرف تماماً انه لن يأتي الى البيت، وبدا لها انه على وشك مغادرته. [illegible] الى [illegible] شيئاً [illegible] في المرآة. سألت جلوريا:

- هل ستسهر خارج البيت؟

- نعم.

- طلب داني جيلبرت من جون ان يقضي الليلة معه.

- اذاً؟

- تصورت انك ربما احببت ان توصله بنفسك.

لم تكن تماماً تعرف حقاً لماذا تقول له ذلك، باستثناء انها لا طاقة لها للبقاء معه. سألها ببرودة:

- الا يمكن لأحد آخر ان يأخذه؟

- اوه، نعم، طبعاً. ولكن جون سيفرح كثيراً لو اخذته انت. انه لا يفهم تماماً لماذا لا تبقى في البيت هذه الايام لا نادي، ولا . .

عندما تكون هنا. لا تذهب الا بقربك!

استدار نحوها بعصبية وقال لها:

- ربما كان عليك ان تطلعيه على الاسباب الحقيقية لذلك.

لم تتحمل تلك النظرات الاشمئزاز في عينيه، وتمتمت بصوت خافت:

- ماذا تريدني ان اقول له؟ هل تقترح ان اقول له انني آسفة جداً يا صغيري لأن الامور لم تسر على ما يرام، واذهب معه اذا امرنا في سيل؟ لا يملك الرجل سوى شيئين يمكنه منحهما للمرأة . . . عمره واسمه. وانت، يا نانيا، ترفضينهما معاً! كما انه لا ارجوك انك حتى الليلة الكافية لتوضيح هذا الرفض!

ضحكت في رأسها [illegible] تلك الكلمات: الآن [illegible] لم تخرج الى [illegible] وكان معها [illegible] عندما [illegible] غادرت [illegible] صوته المنخفض:

- آسفة. انا آسفة، يا جاك.

توجهت الى غرفتها في آخر الممر حزينة يائسة وسمعت بعد لحظات باب غرفته يغلق، فعلمت انه يغادر البيت. جففت دموعها التي انهمرت بسبب كلماته القاسية، واستجمعت قواها اثارة بحث [illegible] من اجل [illegible] في [illegible] ذاتي. ولدى عودتهم، تجنبت دخول البيت من الباب الرئيسي واختارت الذهاب الى الحديقة من المدخل الخلفي. لم [illegible] ما لو كانت جوليا بحاجة لمساعدتها في اعداد العشاء. كانت تريد الانفراد بنفسها.

توجهت نحو [illegible] تتأمل [illegible] تلك [illegible] الاشمئزاز [illegible] شعرت [illegible] من وراء [illegible] التي [illegible] نفسها [illegible] وترقرقت في عينيها دموع [illegible] على [illegible] وبغتة سمعت صوت جاي حين رآها وفي عينيه رقة:

- لم اعرف انك هنا.

استدارت نحوه بلهفة لتقول لها بلهجة عطرة:

- انك تبكين، يا صغيرتي.

مسحت وجهها بسرعة ثم هزت كتفيها وقالت:
- لا شيء، لا شيء.
قدم لها فنجان القهوة الذي يمسكه وقال:
- هيا، اشربي، فأنت بحاجة الى القهوة اكثر مما احتاج اليها انا. انها ساخنة جداً، ولكنها ستنعشك ولو مؤقتاً.
شربت جرعة رغبت بإعادة الفنجان اليه شاكرة، فقال:
- لا، فأنا لست بحاجة الى المزيد. تناولي جرعة ثانية، أليس كذلك؟
نظرت اليه بسرعة ولكنها رفضت ... لم تتمكن من الاجابة. ... تعلمين ان جوني ... لا تحب عليك. ويمكنني ان اتصور ان يصل جزء من الحقيقة الى جانيت في او اجابتك وانها حقاً تحبه. ابتسم جاك ... وقال:
- اعتقد انك تفضلين عدم الاجابة. ولكنك تعرفين بالتأكيد انه يحبك؟
- نعم.
اعجبه اعترافها فنظر اليها وسألها بلهجة حنونة صادقة:
- هل ستغضبين مني اذا سألتك عن أسباب الخلاف؟
- طلبت من جانيت ان يطلقني
نظر اليها باضطراب شديد وسألها ثانية:
- لماذا؟
- لأسباب خاصة.
- هل تسمحين لي بتوجيه سؤال خاص ثالث؟
- وما هو؟
- هل يعلم جانيت انك لست أم جوني؟
وقع الفنجان من يدها وتحطم. ربما ... في مكتبها خوفاً وخجلاً. وسمعت جاك وهو يقول:
- من الواضح انه لا يعلم.

- كيف ... عرفت ... ذلك؟
- لنقل انني لم اكن مستعداً مثل ابي للتصديق بأن تلك الفتاة الغبية التي ... ... كنت أتصور انك تحاولين الصاق التهمة بجانيت لحمله على تبني الطفل. ولكن جانيت بحث الموضوع معي، واكتفى بالقول ان الطفل ولد قبل زواجكما. وعليه، قمت ببعض التحريات الخاصة دون معرفته.
ونظر اليها بحنان ثم سألها
- لماذا لم ... هذا الموضوع ...؟
تنهدت ثانياً بعصبية وهي لا تصدق ما يحدث معها، وقالت:
- طلبها مني مراراً ولكني رفضت ان اراها.
- لا يمكنك تصور مدى صدمتي ورعبي عندما طالعت تلك الوثيقة واكتشفت انه شقيقك من والدة جوني
- لماذا لم تواجهيه اذا بهذا الاكتشاف المثير؟
- كنا متزوجين بطريقة شرعية. المحت بضع مرات في رسائل اليه انه ربما كان هناك أمر لا يعرفه. ولكنه كان يصر على القول ان ... ... ثم بدأت اشعر كم تحبين الصبي، وكأنه طفلك ابنك.
- ومتى اكتشفت ان جانيت لا يعرف ذلك؟
- عندما اقنعته بالعودة الى البيت. سألته ... الاسباب عن اختك فقال انه لم يلتق بها ابداً.
حل الحزن محل المرارة في عينيها وقالت
- انه لا يتذكر شيئاً عن ... ...
- لماذا لم تخبريه الحقيقة آنذاك يا ديانا؟
- لأنه قال انه يريد ابناً. كنت اعلم ان لا امل لي في الاحتفاظ بالصبي ... ...

شقيقتي ديانا من حبه مرة واحدة بين يديها. أصيبت بنزلة صدرية وهي في السادسة، وتوفيت. لا أزال أحس بحزن وجرح. كان أبا لي، وكان جديك سيأخذه مني!

انهمرت الدموع من عينيها ووجدت نفسها بين ذراعي والد زوجها. ربت على كتفها ويحاول التخفيف من عذابها وآلامها. أعطاها منديله وقال لها:

- إني أتفهم رفضك، يا صغيرتي. وسبب خلافك الحالي مع جديك نابع من غضبه لاطلاعه على ما حدث.

- نعم، لأنه سوف يكرهني بسبب ذلك. قلت إني [illegible] [illegible]. ألا يعني ذلك أني سأكذب عليه مدى سنوات؟

- أعتقد أنك مضطرة لذلك.

- لا أقدر، لا أقدر!

رفع رأسها نحوه بحنان وابتسم وقال:

- [illegible] لا يعني [illegible] يغضب أكثر مما هو الآن لأنك رفضته. هل تعتقدين حقا أنه سيطردك لدى اطلاعه على الحقيقة؟

- لا أتصور ذلك، ولكن لا أعلم إذا كان سيغفر لي [illegible]، أو حتى إذا كان سيقبل التحدث معي!

- سأطلب منه الحضور إلى غرفة المكتب في الساعة [illegible] من مساء غد، [illegible] معكما [illegible] اللقاء الأول.

- ربما... ربما كان من الأفضل ألا تقول له إني سأقابله هناك. قد لا يأتي أبداً إذا علم بأني سأقابله.

ابتسم جاي دي بحنان وقال:

- [illegible] على حق، لأن بإمكانه أن يكون أعند من أعند بغال [illegible]. والآن، هل تعدينني بأنك ستخبرينه الحقيقة؟

[illegible]

المرتقب أكثر مما ترغب في الاعتراف به لنفسها.

كانت تلك الليلة ونهار اليوم التالي أطول أربع وعشرين ساعة عاشتها في حياتها. قاربت الساعة السابعة والنصف مساء ولم يكن جايك قد عاد بعد إلى البيت. كانت تقول في [illegible] أنها كانت تعلم أن من شأن [illegible] طاقة [illegible] تماسكها وعقلها. [illegible] جين [illegible] من جانبها. استبدلت ثيابها ثلاث مرات متتالية، لكي تعرف ماذا سترتدي. نظرت إلى المرآة في المرة الثالثة، فانطلقت من فمها ضحكة عالية. كانت ترتدي ثوبا أسود وعقدت شعرها فوق رأسها، وكأنها ذاهبة إلى جنازة... إلى جنازتها هي.

خرجت من غرفتها في الساعة الثامنة إلا عشر دقائق وسارت في الممر بعصبية بالغة. كانت رجلاها ترتجفان، وصدرها يعلو ويهبط تبعا [illegible] خلف الغرفة. قالت له بهدوء:

- إنه لم يعد بعد إلى البيت.

تنهد الرجل وقال:

- صحيح. على أي حال، اجلسي. يمكننا انتظاره معاً.

[illegible] سمعا صوت سيارة تتوقف أمام المدخل. غرزت تلنا أصابعها في المقعد الوثير ونظرت بهلع نحو جاي دي. ابتسم والد زوجها بهدوء وقال:

- سينتهي الأمر عما قريب.

- نعم! سينتهي عما قريب.

أحست بألم يعصر معدتها رغماً عن أنها [illegible]. [illegible]

ترحيب. توترت أعصاب تانيا لدرجة الانفجار. وفجأة، قفزت من مكانها عندما سمعت طرقة خفيفة على الباب. أشار إليها جاي دي أن [illegible] وقال:

- ادخل.

دخل جاك وكان يبدو أطول قامة وأشد جاذبية. أحست بأن قلبها يرتجف من الخفقان [illegible] على وجهه [illegible]

- آسف لأني تأخرت يا أبي.

ثم شاهد تانيا، فنظر نظرة نحو والده وقبل أن [illegible]

- [illegible]

- [illegible]

- [illegible]

- سأعود عندما تكون وحدك.

[illegible]:

- لا تغادر الغرفة! وتانيا أيضاً لن تغادرها.

[illegible] الغضب والانفعال تغطي وجهه. إنه يرفض أن يكون معها في غرفة واحدة. وسمعته يقول لوالده دون أن ينظر إليها:

- [illegible] يا أبي، [illegible] هذا الموضوع ليس من شأنك إطلاقاً.

- إني اختلفت معك في هذا الرأي، يا بني. فجون حفيدي الوحيد، [illegible] إلى أبعد حد.

[illegible] فإني أقترح عليك أن تبدأ أولاً مع تانيا.

- [illegible] المساء. أقفل الباب وتعال إلى هنا واجلس.

كانت تانيا تعلم أن بإمكان والده وحده توجيه الأوامر له على هذا النحو. فما من شخص آخر يجرؤ على مخاطبته بتلك اللهجة. أغلق الباب بعنف وجلس في مقعد قريب منها. كان يبدو مرتاحاً بشكل يثير الدهشة، ولكنها كانت تعرف أنه يمثل [illegible] كفهد شرس... نظر إلى ساعته الذهبية، وقال:

- لننه الأمر بسرعة، لدي موعد عشاء هذه الليلة.

- مع شيلا؟

لم تنتبه تانيا إلى أنها وجهت سؤالها بصوت مسموع إلا عندما نظر إليها بعينين لامعتين وسألها بانزعاج واضح:

- وهل يهمك ذلك؟

[illegible]

- [illegible]

أحست تانيا [illegible] الغضب [illegible] وسمعته يسأل والده [illegible]:

- ما هو بالتحديد سبب وجودي هنا؟ هل من المفترض أن نبحث نفقات الطلاق، أم ماذا؟

ثم وجه كلامه إليها قائلاً:

- [illegible] الطلاق. وسوف أحاربك بكل قواي للاحتفاظ بابني.

[illegible] الحقيقة؟ ناداها جاي دي بصوت [illegible] في عينيه، وقالت هامسة:

- إنه ابنك، يا جاي دي، إنه ابنك.

[illegible] جاك نحوها فقال ساخراً:

- يا لك من ممثلة! إنها مؤثرة جداً!

نظر جاي دي إلى ابنه بقسوة، وقال له:

- طبعاً يمكنك ذلك، يا فتاتي. هكذا انا ابقى ابني [illegible]
بعيداً عن [illegible]
قال له جايلز بلهجة غاضبة:
- لماذا تصر على العودة الى هذا الموضوع؟ انك لا تعرف شيئاً [illegible]
رد عليه والده بغضب قاتل:
- انا اعرف اكثر مما تعرفه انت! وما عرفت لبعض الوقت، فلربما تمكنت انت ايضاً من معرفة بعض الامور!
[illegible] بقلق:
- كفى! توقفا عن الجدال [illegible] لن اقبل بأن تتصرفا بوجه [illegible]!
- انه سبب توتر علاقتي مع عائلتي منذ اليوم الاول لزواجنا، فلماذا تتحدث الامور الآن على هذا النحو الفاجع؟
نزلت عليه كلمته الساخرة واللاذعة كوقع السياط، ولكنه لم ينتظر جوابها بل مضى الى القول:
- يمكنك الآن ان تخبريه اي قصة تريدين، فقد سئمت من هذا [illegible] الاحرف
نظرت ثانية الى الرجل الجالس وراء طاولته وهي تأمل في ان [illegible] فقالت له بصوت مضطرب:
- لا اعرف [illegible] ابداً.
صرخ جايلز بعصبية فائقة:
- بحق السماء! قولي ما تريدين قوله حتى اتمكن من مغادرة هذا المكان!
- انك لا تسهل علي الامور يا جايلز.
- ومتى كنت تسهلين امور وصعوبات حياتي، ايتها العزيزة؟

[illegible] الانتقامي بسبب [illegible] ثم [illegible] تحدث بجفاء:
- عندما كنا نتحدث ذلك اليوم، قلت لي انك معجب بصراحتي [illegible] لتقتنع بشيء ليس صحيحاً على الاطلاق.
[illegible] مترددة وقلقة، متطلعاً منها متابعة كلامها.
- اريد ان احدثك بشأن جيري.
عضت على شفتها بقوة كي تمنع نفسها من البكاء. واختلط طعم الدم بالألم الذي يعصر قلبها وجسدها بكامله.
- وماذا بشأن جيري؟
تحاشت نظراته القلقة، فارغمت نفسها على التطلع الى عينيه وقالت:
- انه ليس ابني.
قفز جايلز من مكانه كالمجنون واقترب منها بسرعة الملهوف. [illegible] ينظر اليها بذهول مؤلم.
- ما هذه [illegible]؟ [illegible] جيري ليس ابني؟
ترقرقت الدموع في عينيها وانهمرت على وجنتيها المتوردتين، وقالت:
- لا يا جايلز. انه ابنك، ولم اكذب ابداً بالنسبة لذلك.
- اذن ماذا تحاولين قوله يا امرأة؟
- انه ليس ابني انا. انا لست امه.
قطب حاجبيه بدهشة بالغة، وسألها بعصبية:
- انا لا افهمك الآن. ان لم تكوني انت امه، فمن هي اذن تلك

قال:

[illegible] عقله، [illegible] ثم قال بغضب

[illegible]

ـ [illegible] جيداً.

ـ [illegible] يا جانيك [illegible].

ـ هذا كذب ونفاق! لا أصدق كلمة واحدة مما تقولين!

تنهدت وقالت له هامسة:

ـ انها الحقيقة، يا جانيك. أقسم لك على ذلك.

ـ لا! لا!

[illegible] لم تعد [illegible]. [illegible] وقالت:

ـ لا [illegible]. لا [illegible] أبداً.

تدخل جاني دي [illegible] لابنه جلوي:

ـ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] من [illegible] عاطفة الابنة قائلا بهدوء ونعومة:

ـ أعتقد انك لم تشاهد هذه الوثيقة من قبل.

[illegible] من مشاهدة الورقة [illegible] كانت جانيك [illegible] [illegible] الورقة هي نسخة عن وثيقة الميلاد [illegible]. لا بد ان جاني دي [illegible] على تلك [illegible]. [illegible] بعصبية [illegible]:

ـ [illegible] هي [illegible]؟

[illegible] ونظرت [illegible] [illegible]

ـ [illegible]؟ لماذا تركتني أعتقد طوال هذه السنوات انك [illegible]؟

ـ لانك [illegible] كنت [illegible]. كنت [illegible] مني. لم تكن لدي اي [illegible]، اي مكان لاذهب [illegible] اي [illegible] نفسي [illegible]. كنت أعلم انه لا أمل لي [illegible] حتى [illegible]. وخاصة عندما يكون جانيك لاصبح [illegible].

ـ أولاً، كان علي ان [illegible] من انك [illegible] بطريقة غير شرعية والآن، تقولين لي [illegible] [illegible]!

[illegible] تلك الورقة بعصبية بالغة، رغم [illegible] الغرفة [illegible] قبل ان [illegible] وقعت [illegible] الورقة [illegible]:

ـ انك [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] يا [illegible].

[illegible]

ربما www.liilas.com

١٠ - تلك الليلة

- جوليا!

سمعت صوته الغاضب، ولكنها لم تتوقف. مشت بسرعة أكبر عندما أحست بأنه يتبعها. لم تتمكن من التوقف حتى بعد أن سمعته يناديها ثانية.

- جوليا، توقفي وعودي إلى هنا!

كان يحق لها لأنها رفضت عرضه، ومن المؤكد أن شعور الاشمئزاز تضاعف لديه بعد أن تبين له كيفية استغلالها له طوال السنوات السبع الماضية. كيف يمكنها أن تلومه؟

لم تكن تفكر بشيء إلا بالوصول إلى غرفتها وعزل نفسها عن الآخرين. كانت تستطيع براحة ووصلت إلى غرفتها في الطابق الذي

مسامعه صوت جايك الغاضب، ورأت نظرات الذعر والاستنكار التي غطت وجه جورجيا. وسمعتها تسأل ابنها:

- جايك، ماذا حدث؟ ماذا يجري هنا؟

أزاحها بعصبية قائلاً:

- ليس الآن، يا أمي، ليس الآن

قالت له بغضب ظاهر:

- أريد أن أعرف ماذا يجري. لدي كل الحق لمعرفة ماذا يحدث في بيتي!

- دعيه وشأنه يا جوليا.

رفضت الاستماع لكلمات زوجها الهادئة، ومشت إلى الدرج بحدة

- ولكني أريد أن أعرف...

وضع جايك يده على فمها، وقال:

- سأخبرك كل شيء في وقت لاحق. أين جوليا الآن؟

- في الطابق العلوي.

سمعت جوليا الجملة الأخيرة لما كانت تغلق الباب وراءها وتقفله بالمفتاح.

- افتحي الباب يا جوليا!

تسمرت في مكانها من جراء ذلك الصوت الغاضب، وقالت له:

- أرجوك أن تذهب يا جايك. اذهب.

- افتحي هذا الباب وإلا حطمته!

ترددت دقيقة قبل أن تمد يداً مرتعشة لتفتح الباب. حاولت جاهدة إيجاد القوة الكافية لتقاوم الانهيار تحت استجوابه المتوقع. قررت ألا تبكي، وألا تحاول استجداء عطفه وشفقته. ليس من حقها أن تفعل ذلك، ليس بعد الطريقة التي أساءت فيها استخدام ثقته. أحست برجوعه داخل الغرفة حتى قبل أن تسمع صوت الباب يغلق بقوة. تنفست بقوة ونظرت نحو السقف، وانتظرت. صرخ بها جايك

www.liilas.com ريما

بلهجة غاضبة:

ـ انظري اليّ يا تايا.

استدارت نحوه بعد تمهل، ومع انها لا تعرف كيف تمكنت من ذلك في تلك اللحظة بالذات، حدقت في عينيه الزرقاوين القاسيتين، وسألته بنبرة حادة:

ـ ألا يمكنك تأجيل ذلك حتى غد، يا جايك؟ سوف تتأخر عن موعدك تلك الليلة.

ابتسم بمرارة وقال عما كانت تفكر به الى حد ما:

ـ انا واثق تقريباً من انك ستجمعين ثيابك واغراضك وتغادرين البيت بمجرد خروجي منه. سوف تجري هذه المناقشة على الفور، وفي هذه الغرفة بالذات.

رفعت رأسها نحوه بصورة لاشعورية وقالت:

ـ ليس هناك شيء آخر اضيفه على ما قلته لك سابقاً، يمكنني فقط ان اقول لك انني آسفة، لأنه يستحيل عليّ لأنني لم اخبرك بالحقيقة، قبل الآن.

نظر اليها بعينين ساخرتين قاسيتين وقال:

ـ انك حقاً حزينة بسبب تصرفاتك! لا ادري كيف تمكنت من اقناع ابي بمدى الاخلاص والحب الطيبة في شعورك نحوه. بالتأكيد لم تقنعيني انا بعد.

ـ اقنعتك بماذا، يا جايك؟

ـ بسبب زواجك مني.

ـ تزوجتك لأجل جوني. قلت لك مرات عديدة في السابق، عندما اعطاك شلاعت ان جوني ابنك، وادركت انك لم تكن المرحوم ستيفن، شعرت بانه ليس امامي اي خيار آخر. احببته كأنه فعلاً وقولاً ابني من لحمي ودمي.

ـ الم تخطر ببالك ابداً فكرة خروجك من هنا كلياً الى اسرة لاسيتر؟ الم تخطر لك الفكرة حتى عندما علمت ما يحويه ذلك من مستقبل في

بيت جميل رائع... وخروج من اي مشاكل مالية... ولمنع يحمل اسم لاسيتر استيوود... وارتداء ثياب لم تكوني لتحلمين حتى بالاقتراب منها قبلاً؟ الم تؤثر هذه الامور قط على قرارك؟

رفعت رأسها بشموخ واباء، وقالت بهدوء راسخ:

ـ لن اتظاهر بانني كنت اجهل ان عائلة لاسيتر ثرية وعريقة. ولكنني لن افكر ان استعملت هذه الامور لكي تحصل على حقوقي. لم تكن لتصلح حوزتي وسعادتي. كلما ... ابداً من حقي انا.

ثم بسخرية لاذعة:

ـ من المضحك انك لم تتوقفي ابداً عن استخدام هذه الامور لصالحك انت.

ـ اذا اردت ان تصنفني كامرأة طامعة تبحث عن الذهب والثروة، فهذا الامر من حقك... لكنني قراءة قضية لم تكن مستقبل جوني كان ولا يزال همي الوحيد.

حدق بها جايك فترة طويلة، ثم هز رأسه بعصبية وقال غاضباً:

ـ لا اعرف لماذا اصدقك، ولكنني اصدقك.

عمّ الصمت ... حيناً ولم تتمكن تايا من توجيه كلمة شكر بعد. وضع جايك يده فوق رأسه وسار نحو النافذة. تأمل الافق البعيد والاعشاب ... والاشجار ... ثم قال دون ان يلتفت اليها:

ـ يمكنني تبرير ... ولكن انا احتاج ... ان ... الحقيقة الصامتة لا اتذكرها...

توقف لحظة ثم سألها:

ـ اريد ان اعرف كل شيء عن تلك الليلة، يا تايا.

اجابت بصوت ضعيف احتجاجاً على سؤاله المزعج:

ـ ارجوك، جايك؟

ـ هل هو ابني... هل اخبرتك اختك بانني والد الطفل؟

لاحظت تاليا انه مصمم على معرفة كافة التفاصيل. اجابته بهدوء:

- نعم، هي التي اخبرتني بذلك.

- اخبريني ماذا حدث تلك الليلة. اخبريني كل شيء تعرفينه.

كان صوته قوياً ولهجته آمرة، الا انه لم يبعد نظره عن النافذة. تأملت بحب وحنان ظهره الجميل ومنكبيه العريضين ورأسه الشامخ. تمنت لو ان بامكانها ان تهجم عليه وتضمه الى صدرها بقوة تخفف عنها بعض الألم. ولكن جايك يصر على الحاق المزيد من الألم. لم تعرف من اين تبدأ. قررت اطلاعه على جميع التفاصيل منذ البداية. قالت له بتردد:

- ذهبنا انا واختي معاً الى المعرض والى قاعة الرقص. كانت مع بعض صديقاتها عندما التقيتني انت. انا متأكدة من انها لم تكن قريبة مني عندما دعوتني تلك المرات القليلة الى الرقص. كنت جذاباً جداً وساحراً للغاية. وشعرت انك تسرق مني انفاسي كلما نظرت الي. لم اقابل احداً مثلك من قبل.

- لماذا هربت مني؟

www.lillas.com ريما

تنهدت تاليا وقالت:

- سيبدو الأمر سخيفاً الآن. عانقتني مرات عديدة اثناء رجوعنا على حلبة الرقص ولكن المرة الأخيرة... لقد كانت مختلفة. ازعجتني. افزعتني بسبب ما بدأت اشعر به. اردتك ان تبقى في عناقي. افزعتني تلك المشاعر والرغبات الدافقة، فهربت.

- بحثت عنك، فلم اجدك. الى اين ذهبت؟

- ذهبت الى سيارتنا التي سمح لنا والدانا باستخدامها. ذهبت اليها وانا انوي العودة فوراً الى البيت. ولكني لم اتمكن لأن ديانا لم تكن معي. بدأت اشعر بأني سخيفة وغبية لأني تخيلت ذلك العناق كشيء هائل. عدت الى قاعة الرقص... لم اعد فوراً بطبيعة الحال لأني ترددت بعض الوقت قرب السيارة. وربما مر على وجودي خارجاً

نصف ساعة او اكثر.

تنهدت بقوة وهي تتذكر احزان تلك اللحظات ومآسيها، واضافت:

- عندما عدت، شاهدت صبياً اعرفه كان يقف قرب المدخل، سألته عن ديانا، فقال لي انها في الجهة الخلفية للقاعة. دخلت القاعة، فرأيتها تقف الى جانبك.

سألها بشيء من الحدة والعصبية:

- هل انت متأكدة من انها كانت معي؟ الا يمكن انها كانت تقف قربي؟

ردت عليه بهدوء، وقد بلغ منها التأثر حداً كبيراً:

- لا، يا جايك. تبعني ذلك الصبي الذي كان واقفاً امام الباب، ثم اشار اليك وسألني اذا كنت ذلك الشخص الذي كان يعانقني قبل قليل. لا اذكر ما اذا كنت اجبته نعم ام لا، ولكنه طالبني على الفور بتحطيم انفي، وقال لي ان شباب عائلة لاسيتر لا يضيعون وقتهم... فلما لم تقبل بهم هذه الفتاة وجدوا تلك.

استدار نحوها بعصبية وسألها بوجه عابس غاضب:

- وهل تصدقين ذلك؟

هزت تاليا رأسها بهدوء وقالت:

- ليس الى حد كبير، في الوقت الحاضر. صدقت كلام الشاب آنذاك، وصدقته اكثر في وقت لاحق.

قال لها ببرودة:

- وكان هذا سبب احتقارك لي الى تلك الدرجة! عندما لم انجح في الحصول منك على ما اشتهيه، استخلصت اختك. هذا ما كنت تعتقدينه، اليس كذلك؟ كيف عرفت بالتأكيد ان اختك كانت معي؟

- في الوقت الذي اردت التقدم نحوكما، اقترب شاب يافع من ديانا ودعاها الى الرقص. شاهدتك تطوق خصرها بذراعك وتدفع

الشاب بعيداً قائلاً له انها . . . بضاعة عادية .

تنهد جايك بقوة وعاد ينظر الى الخارج . ارادت التوقف عن متابعة هذه الذكريات المؤلمة ، ولكنها كانت تعرف انه يصر على معرفة ادق التفاصيل .

ـ لمكثت في وقت لاحق من رؤية ديانا على انفراد . حاولت تحذيرها منك ، ولكنها رفضت الاصغاء لي . قالت لي انها راشدة بما فيه الكفاية وتعرف كيف تتصرف . طلبت مني ان اذهب الى البيت . ففعلت ذلك دون تردد . كانت الساعة تشير الى الخامسة صباحاً عندما عادت الى البيت . لم تتحدث الا عنك وعن انك ستأتي لتقابلها في نهاية الاسبوع التالي . انتقل والدنا بعد بضعة اسابيع بحادث اصطدام سيارة ، فاخبرتني على اثر ذلك بانها حامل .

ـ لماذا لا يمكنني ان اتذكر شيئاً؟ لماذا؟ لماذا؟

ثم استدار نحوها وتأملها طويلاً قبل ان يسألها ثانية :

ـ هل كانت تشبهك؟ هل من الممكن انه اشكل على الطريق بينكما؟

ردت عليه بهدوء :

www.lilas.com ريما

ـ كانت سمراء داكنة الشعر ، واقصر مني .

خيم الصمت الثقيل مرة اخرى لفترة طويلة لم تسمع تانيا خلالها سوى صوت تنفسها . وضع جايك يده على حافة النافذة فيما كان يراقب جون وهو يلعب بجراثه الصغيرة بين الصخور . واخيراً سألها دون ان ينظر اليها :

ـ لماذا؟ لماذا وافقت على بذل جهود لانجاح زواجنا؟ هل كان ذلك ايضاً لاجل جون؟

تحملت سخريته الباردة وقالت له :

ـ لا ، وافقت في البداية لانك قلت لي اننا سنبحث عن بديل لانهاء زواجنا ، فيما لو فشلت هذه الجهود والمحاولات . لم يعن لي ذلك البديل شيئاً سوى الطلاق ، وهو امر كنت ارغبه من صميم

قلبي .

صرخ بصوت غاضب ومتألم :

ـ لماذا لم تقولي ذلك قبلاً؟ هل كان طعم الانتقام قوياً للدرجة انك اردت اذلالي حتى النهاية؟

ـ لو سألتني ذلك قبل سنوات ، لاجبت بالايجاب . اما الآن ، او قبل اسبوع ، او حتى قبل شهر ، لكان جوابي مختلفاً ولقلت لك ان كلامك غير صحيح . اعتقدت ان امامنا فرصة طيبة لانجاح زواجنا ، وانك قد تنظر اليّ بعين الحب والعاطفة . . . او على الأقل ان تفهم سبب كذبي عليك في البداية .

ضحك بمرارة وقال لها ، وهو يترك النافذة متوجهاً نحوها :

ـ انك تقللين من اهمية قدراتك يا تانيا .

اغمضت عينيها لحظة وقالت :

ـ عندما قلت لي انك تحبني . . . وتحبني لنفسي وللصدقي ، تمنيت لو ان الأرض انشقت وابتلعتني . كنت افضل الموت على ان تكتشف الطريقة التي كنت اخدعك بها .

ـ لماذا قررت اطلاعي على هذه الأمور؟ هل ارغمك ابي على ذلك؟

ـ قال لي انه من الافضل ابلاغك بالأمر .

ـ كان بامكانك ان تتركيني اعتقد ان جون ابنك . لماذا لم تفعلي ذلك؟

نظرت بطريقة لاشعورية الى السرير ، ثم قالت له بحياء بالغ :

ـ لو لم اخبرك الحقيقة ، واصبحت زوجة حقيقية . . . لكنت اكتشفت بنفسك انني . . . انني لست اماً .

حدق بها جايك بذهول وكأنه لم يفهم كلامها . ثم اقترب منها ووضع يديه على كتفيها قائلاً :

ـ هل تعنين . . . هل تقولين لي انك . . . انك . . .

اطلقت صرخة قوية عندما قرأ جوابها في وجهها ، ثم ضمها الى

صدره بقوة واغرق وجهه في عقدة شعرها الجميلة. امسكت به وهي تصلي بالا يتركها ابداً، وبأن يبقيها بين ذراعيه الى الابد وهو يردد اسمها بصوت خفيض هامس. كان قلبها يغني عندما تمتمت قائلة:

ـ هل يمكنك ان تغفر لي؟ اني احبك كثيراً يا حبيبي.

ـ لماذا؟ بسبب جون؟ هل ما زلت تريدينه؟

فهمت سبب تشككه بصدق حبها، فاعترفت له بما يجول في قلبها:

ـ اني احب جون، ولكن حبي لك يختلف عن ذلك، اعرف انك لن تغفر لي لاني خدعتك بشأنه. ولكني احبك، يا جايك، احبك كثيراً.

www.liilas.com ريما

ابعد رأسه عنها بشراسة وهو يقول:

ـ لا، لا. انا الذي يحتاج الى المغفرة بسبب ما فعلته معك ومع اختك.

ظلت ممسكة به ورافضة ابتعاده عنها، وقالت:

ـ لم اعد اشعر بأي مرارة تجاهك.

ـ ولكنها موجودة، وموجودة بيننا. لا يمكننا التظاهر بانها لم تحدث.

وحدق بها ببرودة ثم مضى الى القول:

ـ احبك يا تانيا، ربما الآن اكثر من اي وقت مضى بعد ان ادركت مدى تضحيتك تجاه ابني.

وضعت يديها برقة ونعومة حول وجهه وقالت:

ـ اليس هذا هو الذي يهم، يا حبيبي؟ ان نحب بعضنا؟

ـ اللعنة! الا تفهمين!

ابعد يديها بغضب عن وجهه، ومضى الى القول:

ـ هذا الفراغ الرهيب في ذاكرتي عن تلك الليلة... يرعبني، يؤلمني، يكاد يقتلني. لا اعلم لماذا اتوقع منك ان تصدقيني، لم اذكر بشيء عن تلك الليلة الا بك. ولا اذكر ابداً انني تعرفت الى اي فتاة

اخرى.

ضمته اليها بقوة، وكانت عيناها تشعان بكل مشاعر الحب التي تحس بها من رأسها حتى اخمص قدميها. ابتعد عنها وسألها بهدوء:

ـ هل توجد معك صورة لها؟ ربما اذا شاهدتها، سأتذكر.

فتحت حقيبتها واخرجت صورة اختها ثم اعطتها له. تأملها بدقة ولفترة طويلة، ثم هز رأسه وتمتم قائلاً وهو يعيد الصورة اليها:

ـ ليس وجهها مألوفاً، مع ان لديها ابتسامتك الجميلة.

بدأت تعيد الصورة الى الحقيبة، ولكنه سارع وامسك بمعصمها قائلاً بلهفة:

ـ انتظري لحظة!

نظر مرة اخرى الى الصورة ثم الى تانيا. تنفست بصعوبة وسألته:

ـ هل تذكرها الآن؟

ـ تذكري جيداً يا تانيا. هل قالت لك انها امضت ليلتها معي؟ اعني انا بالتحديد، بالاسم؟

هزت رأسها بارتباك وقالت:

ـ اعتقد ذلك. الى ماذا تحاول التوصل، يا جايك؟

ـ اني اسألك عما اذا قالت لك انها كانت مع جايك لاسيتر، ام انك انت افترضت ذلك؟

ـ لم اعد اتذكر. كنت متألمة جداً واشعر بالمرارة والغضب. لم ارد التحدث عنك.

ـ اليس محتملاً انها قالت لك انها كانت مع جامي لاسيتر؟

ـ جامي شقيقك، فلماذا كانت ستطلق عليك اسمه؟

ـ لان اخي كان معي تلك الليلة. اذكر كحلم قديم اننا لم نعد الى الفندق معاً، ولكني كنت اعزو ذلك حتى الآن لوجودي معك.

ـ ولكني شاهدتك مع ديانا!

ـ هل كان معنا احد آنذاك؟

ـ لا يمكنني ان اتذكر ذلك.

- اعرف انه التقى فتاة هناك. ولكني كنت ابحث عنك كالمجنون، فلم انتبه الى شكلها . . . سمينة، نحيفة، قصيرة، طويلة، لا ادري.
- جايلك، الى اين كان جايمي ذاهباً تلك الليلة التي قتل فيها؟
- لا اعرف. اعتقد انه كان على موعد مع فتاة شمالي هايلاند.
- متى قتل؟ اعني، في اي يوم بالتحديد؟
استعاد وجهه بعض الارتياح وهو يجيبها قائلاً:
- يوم السبت . . . نهاية الاسبوع التي كان يفترض بي لقاء ديانا خلالها. جايمي هو والد الطفل!
- عندما ابلغتني بانها حامل، سألتها عما اذا كان والد الطفل من ذلك الرجل من عائلة لاسيتر الذي التقته في قاعة الرقص. وبالطبع قالت نعم، ولم تذكر الاسم ابداً بعد ذلك الحين. عندما ولد جون كانت ديانا [illegible] جداً وكنت انا التي اعطيت المعلومات وخاصة بطاقة الولادة، اعطيتهم اسم [illegible] ذلك طوال هذه السنين. اوه، جايلك، انا اسفة.
تنهد بقوة وقال:
- انا لست آسفاً. لا يمكننا التأكد من ان جايمي كان فعلاً والد جون.
ابتسمت تانيا وقالت:
- ولكننا، يا حبيبي، لا يمكننا التأكد من عكس ذلك. انا نعرف ان جون هو من عائلة لاسيتر قولاً وفعلاً. ارتني جوليا صوراً فوتوغرافية لكما عندما كنتما طفلين، ولا اكد لك ان ثمة شبهاً هائلاً بين جون وجايمي.
- تحطمت سيارته بين هنا وميدلاند. احب كثيراً ان اصدق انه كان في طريقه لمقابلة ديانا. ربما وقعا بحب بعضهما تلك الليلة. احب جداً ان اصدق ذلك.
وافتر ثغره عن ابتسامة ارتياح ومضى الى القول:

- احب ان اصدق ذلك، اذ لم يكن لشيء فلكي اريح ضميري من عذابه.
- ليس هذا الامر صعب التصديق. اعتقد اني احببتك تلك الليلة، لفترة قصيرة على الاقل.
ضمها بحنان نحو صدره وطوقها بذراعيه، ثم تمتم قائلاً:
- لا ادري ماذا كان سيحدث لو انك اطلعتني على الحقيقة قبل سبع سنوات.
تنهدت، ولكن بسعادة، وقالت:
- اعتقد اننا لن نعرف ذلك ابداً.
- احبك يا تانيا، يا زوجتي الصديقة الطيبة. واعتقد انني كنت سأحبك آنذاك كما احبك الآن لو كان من الممكن ان نكتشف آنذاك حقيقة ما يجري بين جايمي وديانا، [illegible] الريبة والكراهية اللذين عشناهما طوال هذه السنوات.
التصقت به بقوة وقالت:
- احب ان اعتقد ان هذا الامر جعل حبنا اقوى وامتن لانه ولد وعاش حيث لم يكن يحق له ذلك. الا توافقني على هذا الرأي؟
ولكنه هذه المرة اجابها بالافعال عوضاً عن الاقوال . . .

www.liilas.com ريما